جامعة عبد الرحمان ميرة –بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

بنية المكان في رواية صخرة الرماد

لزينب لوت

مذكرة تخرج مكملة لنيل شهادة الماستر

إعداد الطالبتين :

- بوبعاية عديلة
- بن لونيس بشرى

إشراف الأستاذ:

صوالح وهيبة

السنة الجامعية: 2019-2020

شكر وتقدير

نشكر الله العلي القدير أولا وآخرا على أنّ وفقنا لإتمام هذا البحث المتواضع.

ونتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى الأستاذة الفاضلة صوالح وهيبة لإشرافها على هذه المذكرة، ووقوفها معنا كمرشدة بملاحظاتها ونصائحها جزاها الله كل خير.

وكل الامتنان لمن قدم لي المساعدة وساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد، فجزاهم الله ووفقهم لكل خير، والحمد لله رب العالمين.

إهداء

إلى والدي الكريمين...

أطال الله بقاءهما

إلى من اتسع صدره واحتمل عزلتي مع البحث..

أسرتي، وأخص بالذكر جدتي رعاها الله

أخواتي، نصرية، زينة، وسام

إخوتي: شعبان، محمد

والبراعم: نهال، إفران.

إلى رفيقات دربي: نسرين، صونية، هالة، نجاة

إلى من شاركتني البحث الزميلة والحبيبة عديلة

إلى الأستاذة الفاضلة صوالح وهيبة

إلى الروائية والناقدة الجزائرية الدكتورة لوت زينب إليهم جميعا أهدي هذا

العمل المتواضع.

بشرى

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من سهرت اللّيل لأستمر في طريق النجاح

من شجعتني لتكسبني ثقتي كل صباح

من تصل كي لا تكون نهاية لأي أفراح

إلى أمي الأغلى من الروح أطال الله عمرها

إلى من سعى وشقى لأنعم بالراحة والهناء الذي لم يبخل علي بشيء من أجل

دفعي في طريق النجاح، الذي علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة وصبر،

إلى والدي العزيز أطال الله عمره.

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكرهم فؤادي إلى أخواتي وإخواني

وأزواجهم وأبنائهم.

إلى من سرّنا سويا ونحن نشق الطريق معا نحو النجاح والإبداع إلى صديقاتي

وزميلاتي إلى "بشرى"

إلى من علمونا حروفا من ذهب وكلمات من درر وعبارات من أسمى وأجلى

عبارات في العلم إلى أساتذتنا الكرام.

عدلة

مقدمة

تعد الرواية من أرقى الأنواع الأدبية التي توصل إليها العقل البشري، يجسد من خلالها الكُتّاب أحداثا وفعاليات في قالب سردي ترتبط بالخيال والإبداع وتحقق بنيات فنية وجمالية، اعتمادا على شخوص تمثل الأحداث الروائية وفق معطيات زمانية ومكانية محدّدة يعتمد فيها الراوي على العناصر الحكائية والقصصية لنقل الصورة أو الموضوع الذي يرغب في معالجته.

وما يميز العمل الروائي عموما هو الارتباط الوثيق بين مكوناته التي يبنى عليها فكرته من شخصيات وبنيات زمانية ومكانية وتوالي الأحداث فيه وهذا ما يخلق بنية علائقية يتفاعل وتتداخل أركانها وفق ثنائية الثابت والمتغير.

النموذج الذي نقترحه في هذا العمل المتواضع يتعلق بعنصر المكان اعتبار أهميته ودورة في العمل الروائي وشبكة علاقاته بمكونات السرد الأخرى تحديدا سنتطرق إلى البنية المكانية في رواية "صخرة الرّماد" للكتابة "زينب لوت".23

تنتمي زينب لوت إلى فئة الكتاب الذين يجمعون بين التأليف والنقد حيث أثرت الساحة الأدبية العربية بمجموعة من الأعمال الروائية وتعتبر هذه الرواية التي بين أيدينا إحداها والتي تلخص من خلالها قضية اللّاجئين الفلسطينيين من تهجير وفقر ومرض وكلّ مشاق الحياة.

يستحضر خلالها البطل –سيزيف– ذكرياته الأليمة منذ الطفولة، بدء بانتحار والدته وتداعيات لجوء أفراد العائلة إلى الميتم ما تسبب في فراق تدريجي لأفراد العائلة بعد زواج الأب، ومن ثم بدأت تتشكل معالم الألم والمعاناة.

نهدف من خلال بحثنا هذا إلى إبراز أهمية البعد المكاني في تشكيل معالم السرد، والكشف عن مدى ترابط المكان الرّوائي مع بقية عناصر السّرد والقيمة التكاملية التي يشكلها هذا الترابط والتناسق والوقوف على تأثير بنية المكان في تحقيق الطابع الفني والجمالي الإبداعي في الرواية ومدى تفسيرها ونقلها للظواهر الاجتماعية تقييما وتقويما.

وقادنا موضوع البحث إلى طرح هذا التساؤل الذي تتفرع عنه مجموعة من التساؤلات:

- ما مدى تأثير البنية المكانية في السرد الروائي؟

وللوصول إلى إجابة لهذا الطرح وجب التطرق إلى بعض الإشكاليات الفرعية مفادها:

- ما هو طبيعية المكان الذي يخدم العمل السردي؟
- ما هي علاقة المكان بمكوّنات السرد الأخرى؟
- مما تتألف البنية المكانية في العمل الرّوائي؟

وفي إطار محاولة حل الإشكالية التي ينبني عليها الموضوع تم اعتماد خطة منهجية تغطي جوانب الإشكالية الأساسية، حيث اشتملت على مقدمة وثلاث فصول وخاتمة، وحاولنا في المقدمة التمهيد للموضوع وأن نذكر مختلف الأسباب والدوافع التي جعلتنا نطرح الموضوع، وطرحنا فيها الإشكالية الأساسية وتساؤلاتها الفرعية.

وخصصنا الفصل الأول للحديث عن التنوع المكاني في شقّيه المفتوح والمغلق، والفصل الثاني طرحنا فيه العلاقة الجوهرية بين المكان ومكونات السرد الأخرى، في حين تطرقنا في الفصل الثالث إلى مركبات البنية المكانية.

وعلى اعتبار أن موضوع دراستنا يتعلق بالبنية المكانية فقد اعتمدنا على المنهج البنيوي وفق مقاربة تحليلية وصفية.

وتم الاستعانة في دراستنا بجملة من المراجع إثراء للبحث مثل بنية الشكل الرّوائي لمؤلفه حسن بحرواي وجمالية المكان لغاستون باشلار وبنية الخطاب الروائي لشريف حبيلة.

وككل دراسة، صادفتنا في هذا العمل المتواضع جملة من الصعاب والعراقيل ولعلّ الظروف الصحية الناجمة عن جائحة كورونا (كوفيد19) أهمها فهي حالت دون توفير الظروف المواتية المساعدة على البحث هذه من جهة، ومن جهة أخرى فإن حداثة الرواية المدروسة وعدم توفر دراسات سابقة لها كان أحد الصعاب التي صادفتنا إضافة إلى قلة المصادر والمراجع التي اهتمت بالموضوع.

وفي الأخير نحمد الله العلي القدير الذي وفقتنا لتتمة هذا العمل المتواضع الذي لم ندخر فيه جهدا وما ورد فيه من نقص أو اتهام ليس إلا عن عدم دراية وليس محض تقصير أو تهاون.

الفصل الأول

ملخص الرواية

1/ الأمكنة المفتوحة

1-البحر

2-الغابة

3-القرية

4-المدينة

5-الأحياء والشوارع

6-الأنهار

7-المخيم

8-المقبرة

2/ الأمكنة المغلقة

1-البيت

2-السجن

3-الغرفة

4-المستشفى

5-العمارة

6-الحمام

7-الزنزانة

8-السينما

ملخص الرواية:

من المفيد لقارئ هذا البحث أن يطلع على ملخص للرواية قيد الدراسة نظرا لجدة الرواية وعدم توفرها بسهولة، وارتأينا كتابة ملخص عنها حتى يتسنى للقارئ فهم محتواها وقراءة البحث بناء على ذلك، تشتغل المؤلفة في روايتها على قضية اللاجئين الفلسطينيين وتلخص مظاهر معاناتهم ومآسيهم في الشخصية الرئيسية المتمثّلة في " سيزيف" الذي جاءت أحداث الرواية على لسانه، لتسقط عليه أهم جوانب الحكي والسرد فيها.

يأتي مستهل الرواية متمثلا فيما أسمته الروائية بالنهاية وهو الموطن الذي ينقل لنا مآل حياة البطل سيزيف الذي يستقر في "لندن" ويتعرف على رشا التي تمتهن الصحافة وهي امرأة شجاعة تعيش معاناة كبيرة بداية من المرض الذي تواجهه إلى الصدمة التي تتلقاها بعد سماعها بطلاق زوجها منها بعدما علم بمرضها.

وغوصا في حياة اللجوء يسرد لنا البطل تفاصيل لقائه بأخيه عمر بعد نيف من زمن الفراق، فراق تدخلت فيه الظروف وأجبرتها عليه.

وبين هذا اللقاء والماضي يرحل بنا سيزيف في شريط ذكريات مليء بمحطات مهمة من حياته يذكرها وفق تسلسل زمني تنازلي، يعرج على حياته في إيطاليا وكيف تعرف على صديقه "أفرو الإيطالي" الذي أنقذ حياته وأنشأ معه علاقة أخويّة متينة، وفي هذه الفترة يستحضر ذكريات مرارة الظروف التي جعلته يفترق عن أخيه عمر، كما لم تغتبه أحد أهم

المراحل العصيبة من حياته، وهي الفترة التي أقدمت فيه أخته " رحمة " على الانتحار بعد الحياة العسيرة التي تجرّعتها مع زوجها.

يواصل سيزيف الغوص أكثر فأكثر في أعماق الماضي وفق نمط استرجاعي، فيسرد الفترة التي جعلته يفر رفقة أخته مصطحبا أخاهما الرضيع "عمر" بعد انتحار والدتهم وفرارا من قسوة الأب لهم خاصة بعد قدوم الزوجة الجديدة، فيفر هاربا من تلك الظروف إلى الدير حيث يتمّ التكفل به وبإخوته.

لا يتوقف " سيزيف" في ترحاله نحو الماضي بل يتجاوزه إلى سرد معاناة والدته وفرارها إلى مخيمات اللاجئين تاركة أحلامها وآمالها وحبيبها لتتزوج بوالدهم الذي أذاقها شتى ألوان القسوة والألم.

يرسم سيزيف من خلال هذه الرحلة نحو الماضي لوحة تمتد فيها المعاناة من الأم حتى يلقى صغارها نفس المصير وهذا راجع بالأساس إلى عوامل سياسية فرضت لا استقرار في حياة أسرة سيزيف، وهو يريد بذلك أن ينقل ولو بالقسط اليسير حياة اللاجئين وصراعهم مع القدر.

أحداث الرواية رحلة شقاء وبحث عن ذات لقراءتها كأحداث ماتزال متواصلة كظهور الكيان الصهيوني والاستيلاء على القدس والعراك العربي، الهجرة، المرض، رغم تطور البنية العلمية.

كما أن الرواية ذات حبكة محكمة تلاعب التاريخ بالتقديم والتأخير وفق منهج التخييل التاريخي.

كما تعدّ رواية ما بعد حداثية تدخل في التجريب الروائي تكسر الروائية الصورة النمطية للكتابة الروائية بحيث تدخلها عوالم أخرى وظفت تقنية الاسترجاع بحيث اختارت أن تستهل الرواة بما يفترض أن يكون نهاية... وعملت على استحضار الماضي من خلال بطل الرواية " سيزيف" استمدت الروائية اسم البطل من أسطورة سيزيف، إلا أنها منحتها أبعادا أخرى أكثر عمقا عبّرت من خلالها على قسوة حياة اللاجئين ومعاناتهم.

تشتغل الروائية على موضوع يمكن إسناده إلى أدب الهامش، وذلك باختيارها لشريحة مهمّشة –أقلّية– وهي فئة اللاجئين من خلال تسليطها الضوء على أحداث تاريخية جسّدتها شخوص حكائية، كما أنها وفقت في استخدام أدوات السرد المختلفة وذلك في اختيارها الأبيات الشعرية للشاعر محمود درويش الذي يمثل القضيّة الفلسطينية.

أنواع المكان:

يعد المكان العنصر الأساسي الذي ترتكز عليه الرواية كجنس أدبي، وهو بذلك المسرح الرئيسي الذي تجري فيه سلسلة الأحداث التي تقوم بها الشخصيات. واهتم به الكثير من النقاد والروائيين وأصبح محل عنايتهم في العصر الحديث. فـ " المكان هو أحد المكونات الأساسية التي تبني الرواية وتعطيه شكلا حيويا، إن البعض اعتبر المكان هامشيا ولم يعتبره

كبير اهتمام لهذا انصرفوا إلى باقي العناصر الروائية في الشخصية أو الزمان... لكن سرعان ما انقلبت المعايير وأصبح النقاد ينظرون إليه نظرة فاحصة."[1]

تختلف الأمكنة في أشكالها وهيئتها ومحيطها في النص الروائي و" فيه تخضع في تشكيلاتها إلى مقياس آخر مرتبط بالاتساع والضيق أو الانفتاح والانغلاق، فالمنزل ليس هو الميدان، والزنزانة ليست هي الغرفة لأن الزنزانة ليست دائما مفتوحة على العالم الخارجي بخلاف الغرفة، فهي دائما مفتوحة على المنزل والمنزل على الشارع وكل هذه الأشياء تقدّم مادة أساسيّة."[2]

كما لهذه الفراغات دور كبير في " إضفاء الصنعة المتقنة على النص والمكان يمكن أن يكون غرفة أو بيت أو مدرسة... وقد تصاحب وصف للكاتب له مشاعر بالنسبة للأشخاص ليكون للشخصية مكان أليف يشبه المنزل الذي يقضي فيه طفولته فيتوق إلى العودة إليه، وقد يكون هذا الفضاء أيضا فضاء لا يمكن اغلاقة كالشارع والصحراء والمدينة."[3]

---

[1] حجت رسولي زهرادمان، علاقة الشخصية وتشكيل الفضاء الروائي، حامل الوردة الأرجوانية نموذجا، مجلة إضاءات نقدية (فضيلة محكمة)، ع31، إيران، السنة الثامنة، ص16.

[2] حميد لحمداني، تنبيه النص السردي من منظور النقد الأدبي، (ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 1991)، ص72.

[3] إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، (دط، الأردن، دار المسيرة، 2003)، ص79.

ويميّز حسن بحرواي بين أمكنة الإقامة وأمكنة الانتقال، وقال عنها: " أما أماكن الانتقال فتكون مسرحا لحركة الشخصيات وتنقلاتها، وتمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصيات نفسها كلما غادرت أماكن ثابتة، مثل الشوارع والأحياء والمحطات وأماكن لاء الناس خارج بيوتهم كالمحلات والمقاهي."[1] ويمكن للقارئ هنا أن يستنتج أنواع الأمكنة المفتوحة فمنها المغلقة، والانتقالية والإقامة كما يمكن التفريق بينهما.

ويؤدي المكان في رواية "صخرة الرماد" دورا مهما، كما شغل حيّزا واسعا يحمل دلالات ومعاني مختلفة، ويعكس أيضا طبيعة الحياة المعيشية، وهو بمثابة المرآة العاكسة لحياة الشخصية، ويرتبط في الرواية بأيام التيه التي تعيشها منطقة الشرق الأوسط جراء الاحتلال الصهيوني، وتمثلها الكاتبة في شخصية رئيسية وهي "سيزيف" وهو بذلك المسرح الذي تتعاقب على خشبته سلسلة الأحداث التي تعرضها الرواية.

تعدد الأماكن التي تتطرق إليها الكاتبة في الرواية، حيث تختلف وتتنوع من موضع إلى آخر، وباعتبارها إحدى العناصر التشكيلية للعمل الفني تسعى الكاتبة جاهدة على اختبار الأماكن الأكثر تناسبا مع أحداث روايتها. " والقاص عندما يعمل على تشكيل المكان الذي ستجري فيه الأحداث، يحرص على أن يكون بناؤه منسجما مع طبائع شخصياته على

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصيات)، (ط1، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1990)، ص79.

أن يكون هناك تأثير متبادل بين الشخصية والمكان الذي تعيش فيه أو البيئة التي تحيط بها. وفي هذه الحالة يصبح المكان قادرا على كشف الحالة الشعورية للشخصية."[1]

اعتمادا على هذا المنطلق، وباعتبار المكان أحد مكونات السرد وبنية قائمة بذاتها وأساسية في بناء الرواية، تعرضنا إلى معظم الأماكن التي جرت فيها أحداث الرواية واشتغلت بها الروائية وتعلّقت بها الشخصيات، وهذه الأماكن بدورها تقوم بتزويد " الرواية بطاقة فنّية خيالية توتر الفن الروائي، ثم إنها رموز تكشف توجهات الرواية العامة والأهم من ذلك تسعى إلى تكوين خصائص تمنح الخطاب خصوصيته المكانية."[2]

اختلف النقاد في تقسيمهم لعنصر المكان وذلك لصعوبة تحديد مفهومه بدقّة، واعتمد الكثير منهم في تقسيمه مبدأ التقاطب، أو ما يسمى بالثنائيات المتضادة مثل: إقامة/انتقال، خارج/داخل، موحش/مستأنس، مفتوح/مغلوق. " إن سلسلة التقاطبات داخل الطرق الواحد من الثنائية (إقامة، انتقال) يمكنها أن تصح بلا عدد ولا نمائه وذلك نتيجة للقابلية الكبيرة للفضاء الروائي في أن يندمج ويدخل في ثنائيات أو تقابلات ضدّية تغري تصنيفها وتحليل

[1] أ.د فرحان بدري العربي، بنية المكان في قصص (حراس المعبد) لحسن عبيد عيسى، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، ع39، جامعة بابل، حزيران 2018، ص998.

[2] الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، (ط1، أربد، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2010)، ص203.

مكوّناتها."[1] كما أن هذا التنوع " المكاني مبني عن قصد من المؤلف بغية من الصعب أن يحصر الباحث جلّ أماكن الرواية لصعوبة حصر المكان في مفهوم ثابت أو ضيّق."

فتح عالم الرواية على الحركية والفاعلية في مجريات الحدث والسعي إلى تحويل صورة المكان الادية الجامدة إلى صورة معبّرة تتجاوز إطارها الجغرافي."[2]

وبالنظر إلى الأماكن التي تشكل أحداث الرواية ووفقا للحالة الشعورية التي تعيشها في الرواية "وفق متطلبات التحليل السردي يمكن أن تكون كلية يوظف المقولات الكلية العامة والعناصر، كما يمكن أن تكون جزئية تتبع مختلف المكوّنات العامة وما يتفرع منها، وترصد كيفية اشتغالها في الخطاب السردي."[3]

وبناء على كل ما سبق قمنا بتقسيمها ضمن ثنائية المفتوح/ المغلق باعتبارها الثنائية الأساسية المناسبة التي تسمح لنا بجمع الأماكن باختلافها وتنوعها أماكن إقامة اختيارية كانت أو إجبارية، أو أماكن انتقال عمومية كانت أو خاصة.

وحري بنا أن نؤكد أنّ تخيرنا لهذه البنى المثانية المندرجة ضمن الثنائية المتضادة " المفتوح والمغلق" كان أساسه التمظهرات المكانية الأكثر كثافة وبروزا في الرواية.

---

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص45.

[2] محمد كوبر، عبد العفو درداخ، بنية الزمان والمكان في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية "مقامات الذاكرة المنسية" لحبيب موسى –أنموذجا–، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، إشراف فوزية تقار، جامعة الشهيد لخضر الوادي، 2017/2016، ص38.(190ورقة).

[3] سعيد يقطين، السرديات والتحليل السردي (الشكل والدلالة)، (ط1، المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2012)، ص57.

1/ الأمكنة المفتوحة:

المكان المفتوح هو الفضاء غير المحدود ومجمع الإنسانية عامة " وتكون هذه الأماكن شديدة الانتماء إلى مجموعة كبيرة من الناس والعكس في انتماء الناس إليها، وهي مفتوحة من جانب واحد شرط أن تكون مفتوحة من الأعلى، وإن هذا الانفتاح يعطي خصوصية كبيرة داخل الشخصية من خلال غضفائه الارتياح على روحها، على الرغم من الخوف الذي يصيبها بفضل الظروف الطارئة، وتدخل ضمن الأماكن المفتوحة الطرف والأسواق والحدائق والمدن والضواحي والبساتين والصحراء ومساحات الحروب وغيرها."[1]

فالأماكن المفتوحة تلعب دورا مهما في الرواية، وتكتسي أهمّية بالغة بإمساكها " بما هو جوهري فيها، أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها."[2] حيث تطبع هذه البنية المكانية في النص الروائي معنى الحرية التي تسمح للشخصيات بإقامة العلاقات فيما بينها من خلال التردد فيها، وكذا الانفعال بها، "ذلك أنها توحي بالاتساع والتحرر فهي ترتبط بالمكان المغلق ارتباطا وثيقا، ولعل حلقة الوصل بينهما هو الإنسان الذي ينطلق من المكان المغلق إلى

[1] حسن فهد، المكان في الرواية البحرينية، دراسة في ثلاثية روايات (العدوة، حصار، أعتبة الماء والنار)، (ط1، البحرين، دار فراديس للنشر والتوزيع، 2003)، ص80.

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص79.

المكان المفتوح، توافق مع طبيعته الراغبة دائما في الاتساع والتحرر وهذا لا يتوفر إلاّ في المكان المفتوح."[1]

كما تتخذ الروايات في عمومها أماكن منفتحة تؤطر بها الأحداث مكانيا تخضع مدّة الأماكن لاختلاف يفرض الزمن المتحكم في شكلها الهندسي وفي طبيعتها وأنواعها، حيث تظهر فضاءات وتختفي أخرى."[2]

وهذا النوع من الأماكن يتضح مفهومها أكثر من خلال عرضها عبر ثنائيات متضادة فالشخصية ترفض الاستقرار بشكل دائم في الأماكن المغلقة، فهي تفضل الأماكن المتسعة والمتحررة التي تخلصها من الضيق والانغلاق و"يتسع شاطئ برايتون (برايتون Brighton) الممتد من جنوب شرق بريطانيا إقليم شرق (سايكس) بالسائحين والفارين من تعب العمل ورواسب الاجتهاد والروتين اليومي، حيث يمدد" سيزسف" جسده على شريحة كرسي خشبي تحت أشعة الشمس، يثني رجله اليمنى ويضع يده على الرمل يداعب فروته الشقراء التي تضاهي لون شعره والأخرى تحت خصلات رأسه التي يغزوها البياض المشع بمرور السنين، بينما يسترخي على أنفاس الموج الذي يرمي حمولته فوق ضفاف السطح."[3]

---

[1] حفيظة أحمد، بنية الخطاب الرواية النسائية الفلسطينية، (ط1، رام الله فلسطين، منشورات أو غاريت الثقافي، 2007)، ص166

[2] الشريف حبيلة، بنية الخطابي الروائي، ص244.

[3] زينب لوت، صخرة الرماد، (ط1، القاهرة، دار غراب للنشر والتوزيع، 2019)، ص36.

يطغى اهتمام الكاتبة بالمكان في هذه الرواية لتنوّعه وثرائه ويرافق كل مكان زمن وحدث يناسبه مما يجعل هذه البنية تتنوع ضمن الثنائية المتضادة " المفتوح والمغلق" وفي هذا الصدد سيتم رسم ملامح هذه البنى المكانية وحصر أبرزها:

البحر:

تتعدد وجهات النظر لهذا العنصر بين من يراه مكانا للعمل والتكسب ومن يراه مكانا للراحة والاستجمام، ويُعد البحر من الأماكن الاختيارية وكل إنسان حسب رغبته وحاجته لهذا المكان " البحر هو أكثر القوى الكونية مهابة وجمالا وهو مكان لا متناهي واتساع هائل ومصدر رزق وحياة الإنسان."[1]

إنّ البحر بامتداده وزرقته يسحر العيون ويبعث في النفس الراحة والطمأنينة، لذلك كان ولا يزال ملهم لكثير من الكتاب والروائيين، ويصفه غاستون باشلار بـ " المرآة التي يرى الإنسان على صفحتها الزرقاء اللامتناهية ذاته، فتشعره بضالة حجمه، العالم اللامتناهي في الكبر الذي يتحدث عنه فيلسوف المكان غاستون باشلار."[2]

وما يلفت الانتباه في رواية " صخرة الرماد" حضور البحر بشكل قوي، فهو المكان الذي توجه إليه بطل الرواية "سيزيف" بعيدا عن الضوضاء والزحمة وطمعا في الراحة

---

[1] هنية جوادي، صورة المكان ودلالته في روايات واسيني الأعرج، مذكرة دكتوراه، إشراف مفقودة صالح، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013/2012، ص161. (464 ورقة)

[2] غاستون باشلار، جماليات المكان، (ط6، بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2006)، ص170.

والاستجمام " ويتسع شاطئ برايتون (برايتون Brighton) الممتد من جنوب شرق بريطانيا إقليم شرق (سايكس) بالسائحين والفارين من تعب العمل ورواسب الاجتهاد والروتين اليومي، حيث يمدد" سيزسف" جسده على شريحة كرسي خشبي تحت أشعة الشمس."[1] "بينما يسترخي على أنفاس الموج الذي يرمي حمولته فوق ضفاف السطح."[2]

يتأمل سيزيف في صمت وخضوع منظر المارين أمامه من البشر ويفكر في سر اختيارهم لذلك المكان الساحر في سعته وامتداده، ويتخذ من الصمت وسيلة ليعانق المكان ويتوحد معه و" تحتشد أجساد تتلون بعقائدها وبحسياتها وطولها وقصرها بسنها ووزنها لكنهم بشر خلقوا ليتخذ كل واحد منهم مكانا يتوحد فيه مع الفرح، انكسرت الشمس فوق ضلوع التائهين في صراخ البهجة وامتداد البحر يسترق رؤية المارين بصمت."[3] ليدرك مدى سر وعظمة المكان الذي يجعله يزيح جميع الحواجز لإدراك جوهره، دافعا بذاكرته لاسترجاع ماضيه الأقل العالق في ذكريات الطفولة بعيدا عن وطنه و"تستسلم عيناه في هدوء استرداد ما حدث تعود به شيئا فشيئا يتلاشى البحر من أمامه ويضمحل خلف المشاهد العالقة الحبلى بالتزييف واستوائية الفرح بين أشواك الممرات الضيقة والملتوية."[4]

---

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص36.

[2] مرجع نفسه، ص ن.

[3] مرجع نفسه، ص ن.

[4] زينب لوت، صخرة الرماد ، ص ن.

يحفز البحر ذاكرة البطل ويثير أحزانه ويتواصل معه من خلاله فعل التذكر، ذلك باستثارة عواطف محملة بالشوق والحنين فيسترجع بساطة الحياة التي كان يعيشها أطفال وطنه " يلعبون لعبا جماعية بكرة ممزقة، وأرجلهم حافية، يسحبون البداوة ويمتطون قناعتهم وكانت السعادة هي بؤرة صغيرة كذرة..."[1]

ويؤجج البحر مشاعر الحزن والأسى اللّذان يعتصران قلب سيزيف، وهو يتذكر أمه التي فقدها وظلت مرتبطة بذاكرته و" يخطو خطوات متثاقلة كأنه يعيد الزمن كجزر ومدّ بين ذكريات بدأت تتلف في طريقه المستدير، حتى وصل منكسرا بجسده المثني أمام مرقدها، بعدما امتلأت رجلاه ترابا جسده يذوب كطفل يريد ملامسة صدر أمه... يتنهد بويل كالصدى من شدّة الفراغ المثقل بين القبور المهجورة."[2] وتمهد له الذكريات طريقا طويلا لاستكمال مشواره ليصل في آخر مطافه على تذكر وطنه وأسرته، تنهار دموع تستوطن رائحة الأسرة والشاي."[3]

يفتح سيزيف بابا واسعا لأحلامه التي لا تتحقق، ويكون البحر بذلك المكان الذي ساهم في تطوير أحداث الرواية القائمة على عملية الاسترجاع والتذكير حتى نهايتها " سرعان ما تنشطر موجة على الشاطئ لتوقظ ذاكرة (سيف).. (سيف)."[4]

---

[1] المرجع نفسه ، ص ن.

[2] المرجع نفسه، ص38.

[3] زينب لوت، صخرة الرماد ، ص 45.

[4] المرجع نفسه، ص ن.

يأتي البحر في الرواية كمكان يستهوي الأصدقاء والأحباب، كما أنّ روعة الجلوس على شاطئه وتأمله يرغم الشخصية على البوح بكل ما يحمله القلب من أحزان وهموم، فيولعون بسحره وامتداده اللامتناهي فيحلوا لهم الحديث وتجاذب أطراف الكلام، ويفضل "سيزيف" الجلوس على شاطئ البحر رفقة صديقته "سماح" بعيدا عن الضغوطات، يتجاذبان أطراف الحديث فيذكّر البحر شعورهما بالضياع وهما يتأملان وضعهما المأساوي وظروفهما القاسية التي مرت بهما مندفعين وراء الأسباب التي فرقتهما وجعلتهما متباعدان، ويتحول البحر إلى مكان للبوح والتأمل سابحين بخيالهم في ذكرياتهم القديمة.

" ينظر إلى سماح وهي تضع نظارتها الشمية الكبيرة."[1]

" هل تذكر يوم التقينا " كنت حزينا ومنهمك بالتفكير... كنت أتخاصم مع أحد الشباب الخائنين لإنسانيتهم ولرجولتهم... يتهمني بالمياعة ويغازلني في نفس الوقت... يلامس يدي ويدعوني بالفجور لأنني أعود مجهدة من عملي في مكتب " فوزي" العقاري، وأتعامل مع زبائن أغلبهم رجال، هل كان هذا كافيا لاتهامي؟! لا لا في سن مبكر جعلني أبحث عن لقمة تسد جوع إخوتي الخمس بعد وفاة والدي (حامد) الذي عمل عتالا في سوق الخضر... تكتظ مقاطعة (البقاع) في شمال طرابلس بالغرف المتهاوية في حيدي... منحته لكمة قوية طرحته أرضا... وأدركت يومها أنك مشحون بعويل من الحزن والأسى برحيل

[1] المرجع نفسه ، ص 45.

شقيقك ومن وددت الزواج بها... وكنت تبحث عن دليل لمكان شقيقك المختفي (عمر) عند (فوزي) الذي يملك قرابة مع (أرمين) ظروفي كانت قاسية."[1]

ويستذكران اللّقاء الأول بينهما ويطرحان أعذار فراقهما مع انشطار أمواج البحر " جئت لأراك حين بدأت خطوتك الأولى نحو الحب... وتستمع للنازحين خلف أبواق الرماد الذي يعج بمواقعنا كلما اقتربنا تهب رياح تجر خيبتنا أحببتك واكتفى بالرحيل، إنه ينقذني من صمتك ووحشتك، هل تلحظ حجل النوارس فوق البحر... ولغة الموج الخافت بين صدر الهواء يتسع نحو رموش الشاطئ، أين كتبت اسمك سيف فكانت سيوف الفاتحين تصهل في قلبي لتورق حضورك الخفي... لكننا لم تنفق على معركة واحدة وهذا ما جعلني أرحل بعيدا... الزمن ينخر مواقد الكلمات..."[2]

إنّ الذكريات التي يحملها البطل سيزيف أثّرت سلبا على البحر حيث حولت صورته الزرقاء الصافية إلى صورة سوداوية قاتمة، وبذلك يثير مشاعر الحزن والألم ولكن على الرغم من كل هذا يبقى البحر المتنفس الوحيد والمغذي الروحي الذي هوّن عنه وهو بعيد عن وطنه، ويصبح بذلك المكان الذي آنسه وخفف عنه آلامه وأحزانه بعدما باح له بأسراره وذكرياته وتفضيل سيزيف لهذا المكان لم يكن عثا، فكل ما يوفره البحر من الصفاء والرقة والامتداد ساعدته على توفير شعور الراحة التي ضاعفت إحساسه بالحياة، وبضرورة التحمل لمواصلة العيش والصراع من أجل البقاء، ويبقى بكل هذا المكان الذي يحمل كل معاني

[1] زينب لوت، صخرة الرماد ، ص47-48.

[2] زينب لوت، صخرة الرماد ، ص49.

الراحة النفسية والمتعة التي لا مثيل لها، فهو عالم من السحر ومكان يمنح للمرء فرصة للترويح عن النفس والتخفيف من آلامها وأوجاعها.

الغابة:

مكان من الأماكن التي توفر الراحة بهوائها النقي والهدوء الذي يسودها، وهي مصدر سعادة الإنسان، كما تحمل الغابة أيضا معنى الخوف والتوحش ممّا يؤدي بالشخصية للنفور منها، بعد إحساسها بفقدان دورها وسيطرتها فيها " وتقترن بدلالات متعددة فهي تارة تلجأ للسكينة والهدوء وتارة رمز للتوحش والجرائم وانحلال الأخلاق."[1]

يأتي هذا المكان في قصة الرواية بصور مختلفة محاولا بذلك تشكيل بعض الأحداث التي تساهم بشكل مباشر في بناء القصة وتسلسلها كالآتي:

تستعين بطلة الرواية " رشا" على إبراز هذا المكان ومدى سيطرة الوحوش عليه من خلال عرض مجموعة من العبارات الدالة على حالتها المرضية الخطيرة ك" الورم" التي تهدد كيان وجودها بالرغم من شجاعتها ومقاومتها وتقول: " لكنها عواصف تنهال على قامتي تسحبني للقاع وتسلب ل الملاحم التي صادفتها في حياتي المهنية جلت كل أنحاء العالم وسط الزوابع وإنفاق الهروب من الغازات وصفير التحذير لا يزال يسكنني غاية تمتلكها الوحوش الغارقة في وحل اللاشيء."

[1] حنان أمزيان، سمية بركان، جماليات تشكيل المكان في رواية "الرماد الذي غسل الماء" لعز الدين جلاوي –أنموذجا–، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر إشراف بلقاسم دكدوك، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2017/2016، ص112. (158 ورقة)

كنت أفكر يومها ما فائدة القتال على أرض تموت تحت أقدامهم وحيود تنزف حيل أهلها، ما فائدة النزاع والأصوات المبحوحة سرعان ما أجد تلك الفوضى يسكنني وهذا المرض اللعين يقتلني الآن."[1]

يبرز هنا كل من المكان والشخصية البطلة رشا، حيث تصور لنا المكان بصفاته الباعثة لشعور الخوف والفزع وكذا الصمت والاستسلام لتجد رشا نفسها تتقاسم مع المكان بعض صفاته وبواعثه.

وفي مشهد آخر تصور كل من شخصية جنان والمرأة المسنة التي قامت برعايته، هذا المكان ويقرباه بصورة مخالفة لمعناه الحقيق انطلاقا من الظروف التي عاشها لتخذا من الغابة الأمن والمستقر لهما بعيدا عن مكر وخيانة المجرم حليس، وجاء على لسان العجوز وهو يسرد قصته مع حليس للشخصية البطلة سيزيف موضحا الدور الكبير الذي قام به المكان "الغابة" " حكايتي معه تبدأ من عشر سنوات حيث كنت أملك أرضا بجوار أرضه ولما توفي أبنائي الثلاثة دفعة واحدة في إحدى الغارات، استغلّ ضعفي وأخذ الأرض مني وأحرق كوخي فلجأت لهذه الغابة أدس جسدي المتعب فيها حتى أموت... تمر الأيام وها هي ابنته تعتني بي يعدما فقد أرضه كلها باحتيال من قريبه..."[2]

كما تستحضر جنان هذا المكان كبنية فنية ليواصل دوره في تطوير أحداث الرواية " لكي لا أقاسم صوتي مع أحد... لا أملك ثقة بعد هذا العجوز المسكين غير هذه الغابة

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص17.

[2] زينب لوت، صخرة الرماد، ص135.

المحبوكة بالحلم."[1] لتتحول الغابة من مكان يثير مشاعر الخوف والقلق إلى مكان يسوده الاستقرار والأمان.

تتميز الكاتبة بفنية عالية في رسم معالم المكان وتحريك الأحداث عليه، والنشاط الذي تظهر عليه الشخصيات يجعله متوافقا مع طبيعة الحياة التي تعيشها.

القرية:

القرية فضاء جغرافي لها حدود تفصلها عن القرى والمدن، وتختلف طبيعة الحركة فيها بحسب المرافق التي تتوفر عليها، و" في الرواية تبدو القرية مهزولة مستنزفة، مجهولة الدور مع أنّها مصدر البذل."[2] وتحتل القرية مكانا في الرواية، وعند الحديث عن القرية تجدر الإشارة إلى" " أن الروائي الفلسطيني هو وحده الذي كتب عن الريف الفلسطيني."[3]

وجاءت القرية في هذا المقطع:

" لكننا لم نفهم لهذا قررت أن ترحل بأسرع الطرق إلى النار... كما ترددده ألسنة القرية."[4]

" استمرت أقدامي نحو القرية تسف رائحة الحقول البيضاء الطاهرة."[5]

---

[1] المرجع نفسه، ص137.

[2] محمد حسن عبد الله، الريف في الرواية العربية، محمد حسن عبد الله ، الريف في الرواية العربية، (د.ط، الكويت، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 1989)، ص152.

[3] المرجع نفسه، ص153.

[4] زينب لوت، صخرة الرماد، ص114.

[5] المرجع نفسه، ص136.

فالقرية هو المكان الذي يتمتع بالهدوء والسكينة وتكون فيها الحياة بدائية نوعا ما، وللقرية سمة دلالية وجمالية تتمتع بها إذ لا يستغني عليها أغلب الكتاب.

المدينة:

تعد المدينة فضاء جغرافي مفتوح، تجمع بين عدّة أشخاص سواء كانت بينهم قرابة أم لم تكن، وأهم ما يميّزها توفرها على مرافق وخدمات متنوعة، إضافة إلى الضوضاء والازدحام الذي يميزها نتيجة كثافة الناس.

" لقد باتت المدينة مدخلا رئيسيا إلى تناول موضوعات شتى في مجالات عدّة، بعد الإقرار بتأثيرها الهائل."[1]

" تلعب المدينة في الرواية، دورا شديد الأهمّية بل إن المدينة هي في الأساس المكان الذي كان متطلبا مسبقا لانبثاق الرواية كفن أدبي قلا يسبق الروائي بل في البدئ تكون المدينة، ثم تجيء بعد ذلك القدرة على دفع الحياة في حقائق الابداعات ومنها الفن الروائي بشكل خاص فالرواية هي الصورة الكلامية للتركيبة المدينية."[2]

" أصبح القول بأن الرواية هي كائن مدني انتسابا إلى المدينة الضخمة بديهة في نقد الرواية لاسيما رواية القرنين التاسع عشر والعشرين."[3]

---

[1] حسين حمودة، الرواية والمدينة نماذج من كتاب الستينات في مصر، ص1.

[2] المحايدين عبد الحميد، جدلية المكان والزمان والإنسان، ص105.

[3] جورج هنري رالي، الرواية والمدينة، في: (نظرية الرواية –علاقة التعبير بالواقع)، ت، د، محسن جاسم المسوري، منشورات مكتبة التحرير، بغداد، 1986، ص104.

جاءت المدينة في الرواية في المقاطع الآتية:

" لم أسافر في المدن بقدر ما حجزت مواعيد الخواء في امتداد بحثي عنك."[1]

" وما تبقى لي من أساور هذه المدينة الباردة بصقيع الوحدة."[2]

" في مدينة الضباب كل الأشباح تنهض في صدري الموحش."[3]

ذكرت الكاتبة المدينة في الرواية دون الوقوف على وصفها.

تظهر المدينة في رواية " صخور الرماد" كأماكن للتنقل ووقوع بعض الأحداث فيها على الرغم من تعدّدها، وقامت بذكرها دون الوقوف على وصفها ويفسر ذلك اهتمام الكاتبة بالمدن الفلسطينية فقط وتكسب أدبها خصوصية الاكتفاء بالمدن الفلسطينية كونها المقصودة والأقرب.

الأحياء والشوارع:

تعد الأحياء والشوارع من أبرز الأماكن المفتوحة التي تتميز بالحركة والتنقل، وهي حلقات وصل بين البيوت والمرافق فهي تمكن الإنسان وتمنحه حرية التنقل بشتى الوسائل. " إن الأحياء والشوارع تعتبر أماكن انتقال ومرور، فهي التي يستشهد على حركة الشخصيات مسرحا لعدوّها ورواجها عندما تغادر أماكن إقامتها أو عملها."[4] كما وضعها مهدي عبيدي

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص77.

[2] المرجع نفسه، ص79.

[3] المرجع نفسه، ص80.

[4] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص79.

على هيأتها وقال: " قد تكون غالبا أمكنة المسارات والمتمثلة في الشوارع من المدن أو الأزقة الضيقة والمترتبة في الأحياء الشعبية وفي القرى، بحيث تنتهي في المدن والقرى والمساحات الشاسعة والخواء."[1]

والشارع باعتباره جزء من المدينة فقد وصفه ياسين النصير بـ:

" أنه صحراء المدينة وجزؤها الزمني، وحياتها الدائبة المتحرّكة ولولب بعدي حضاري لامتداده على مدّ الخيال ولساكنة حرية الفعل وإمكانية التنقل وسعة الاتساع والبدل."[2]

كما يعد الحي من أبرز الأماكن " العامة وذلك لمنحه للناس حرية الفعل وإمكانية التنقل وسعة الاطلاع، لذا فهي أمكنة انفتاح، تنفتح على العالم الخارجي تعيش دوما حركة مستمرّة تؤدي وظيفة مهمة في سبيل الناس إلى قضاء حوائجهم."[3]

إنّ حرية الانتقال في هذه الأحياء والشوارع تمنح الشخصيات راحة نفسية وتجعلها أكثر تعلقا بها، فتكون أماكن منشودة لها وهو ما يفسر طول الوقت في المدن.

يوري لوتمان: " يرتبط المكان ارتباطا لصيقا بمفهوم الحرية، ومما لا شكّ فيه أن الحرية في أكثر صورها بدائية، هي حرية الحركة."[4]

---

[1] مهدي عيدي، جماليات المكان في ثلاثية خدامنا، (ط1، دمشق، سوريا، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011)، ص149.

[2] ياسين النصير، المكان والرواية، ص133.

[3] شريف حيلة، بنية الخطاب الروائي، ص244.

[4] مشكلة المكان الفني، تر: سيزا قاسم دراز، ضمن كتاب جماليات المكان لمجموعة من الباحثين، (ط2، دار قرطبة، الدار البيضاء، 1988)، ص62.

اتخذت "زينب لوت" في روايتها من الشوارع والأحياء مسرحا لبعض أحداث قصّتها حيث، يرتبط اسم الشارع في رواية "صخرة الرماد" بأسماء العديد من الشوارع "شارع البيازين، شارع العرب "أدجور رود"، شارع صيدا، شارع اكسفورد ستريت وبارك لين."

يتواتر هذا المكان في قصة الرواية، ويحضر بشكل قوي وما يميز هذا الحضور التنوع حيث يذكر السارد أسماء الشوارع في أحياء شعبية قديمة وأخرى في أحياء مدنية راقية، فهو لم يستقر في مكان واحد وكان كثير الانتقال من مكان إلى آخر بسبب الظروف المحيطة به.

وجاء الشارع في الرواية كمكان عالق في مخيلة سيزيف وهو بعيد عن وطنه "لبنان" مؤديا مهنته الصحافية في إيطاليا " أريد البقاء أكثر في شوارع الأحياء المجاورة أريد أخذ صور تذكارية... الذاكرة ليست مكانا فقط، ولا هياكل ولا تماثيل أنا أتخيل فيها شيئا آخر... يمكن أن تفهمني حين تكون بلا وطن..."[1]

يبرز الشارع في هذه الصورة السردية كواسطة يعبر من خلالها سيزيف عن شعوره، وأشار سعيد حورانية إلى الشارع باعتباره " فضاء مفتوحا تكتنفه، يحمل ذكريات الإنسان المفرحة أو المترحة."[2]

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص37.

[2] سعيد حورانية، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، (ط1، دمشق منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011)، ص51.

يحمل الحي ذكريات البطل مع تجار حيه " باعة الحي" " أصوات تتخاطب لغة تتجاذب الأعزاء (باعة الحي) وهم يحملون السمك، ويتلقّونه بالماء حتى تحفظ بريق البحر فوق عيونه التي جعلها الحلو تتقيأ الملوحة، وتنفجر عيونها حمرة الخديعة..."[1] يحن سيزيف لهذا المكان الذي يعكس طبيعة الحياة التي كان يعيشها، ويفصح المستوى الاجتماعي للأفراد وطبيعتهم.

كما جاء شارع صيدا يحمل أحداث لبنان المبنية على الأوضاع غير المستقرة التي تعيشها، مصورا بذلك الوضع المأساوي الذي آل إليه هذا الشارع وأزقّته ليبقى خاليا بعد نزوح اللبنانيين إلى سوريا. " الصحف اليومية كالكعك الساخن، تتدفق بين شوارع (صيدا) تساقط الأخبار يمسك جريدة (لبنان اليوم) يتصفح مقالا ينتظر صدوره على وجه السرعة في الصفحة الأولى (نزوح أكثر ممن ألف نازح إلى صيدا في مخاض الشرق الأوسط الجديد باللسان الغربي وعناده) وتحته تقرير: (سيف معلوق)."[2]

واستعان البطل في هذا المتن الحكائي بـ " شوارع صيدا" بوصفها المكان الذي يشغل تفكيره وبوصفه كان يمتهن الصحافة ويشارك آلام وأحزان لبنان بقلمه.

وفي موضع آخر من الرواية حيث تم ذكر الشوارع في الأحياء الراقية لتصبح بذلك جزء من البنية الانتقالية، حيث يتنقل "سيزيف" في شوارع لندن باحثا عن أخيه المفقود "عمر" بعدما منحته السيدة أرمين لابنها "سابا" وزوجته العاقر فيونة للتكفل به.

---

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص37.

[2] المرجع السابق، ص86.

" هذا آخر شارع في لندن (أدجور رود) يفصلنا تصافح (أكسفورد ستريت وبارك لين) يمتد شارع العرب... وينهل العروبة الجاثمة خلف نوافذ المهاجرين ينفعل الصمت يوما... ويدوي السفر الذي أنهكني.. وأتلف أعصابي، لم أسافر في المدن بقدر ما حجزت مواعيد الخواء في امتداد بحثي عنك..."[1]

إنّ هذا التنقل في المكان يحفز الشخصية على التفاعل، حيث تنقل معها أحاسيسها لتندمج مع المكان لتتشكل بذلك أحداث تتلاءم مع موضوع الرواية، ويواصل سيزيف ذكرياته وهو يستحضر "الحي" كمكان يحفر ذاكرة خاله "عزام" يسرد له الحداثة الأليمة التي وقعت لأمه ماجدة يوم عرسها "تركتني والدتك خلفها في (فلسطين) وعمري سنوات بعدما انفجار عبوة بالقرب من بيتنا وهو ملئ بالزينة وبهجة المدعوين للفرح، كنت ألعب بعيدا عن "الحي" مع بعض الأصدقاء ولما سمعنا دون المتطايرة، هربنا إلى مخابئ داخل المدرسة كان يوم عرس ماجدة."[2]

كما كان الحي وشارع البيازين جزء من البناء الحواري للرواية حيث تتجاذب أطراف الحديث بين الطرفين "ماجدة" والرجل الجريح "جاسم" "ما بك سيدي أنادي على الجيران يأخذونك من انتظر... (يمسك يدها) هل ممكن أن تبحثي عن أنرجس تسكن هنا في شارع البيازين.

نرجس البيطرية؟

---

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص من 76 إلى 77.

[2] زينب لوت، صخرة الرماد، ص40.

أجل هي ذاتها ممكن ذاتها تنادي عليها لتحضر؟

احتجزي الاحتلال ليلا وأخذها مع شقيقها رائد.."[1]

وعبر الحوار يظهر مكان آخر "الحي"

" ينحني ويجهش بالبكاء سأموت بدونها هل يخطفون من الحب أيضا كيف يمكن أن يقتطعوا زهرة تنبت في حقل الروح... سأساعدك هناك طبيب يسكن في الحي سأحله لك."[2]

يمثل المكان موضع وقوع بعض أحداث الرواية، كما كان للشخصيات الحوارية حرية الحركة والانتقال من حالة إلى أخرى ومن مكان إلى آخر، محاولة كشف ذلك المكان بأبعاده ومعالمه.

ويكشف الحوار الذي دار بين الشخصيتين عن حدود المكان وتم الافصاح عنه حتى تتعرف ماجدة على نرجس عن طريق المكان "شارع البيازين" وليتعرف جاسم على طبيب الحي الذي عالج جراحه.

الأنهار:

هو مسطح مائي ينساب على اليابسة في مجرى طويل وعريض تغذيه عدّة ينابيع ومياهه غير منقطعة طيلة العام " وسنجد الروائيين الفلسطينيين يعكفون على رسم خريطة

[1] المرجع نفسه، ص من 42 إلى 43.

[2] المرجع نفسه، ص43.

أرضهم بالأحداث والرجال وملامح الطبيعة الثابتة حتى الشجرة والتل والنبع والتربة الحمراء والنباتات."[1]

وجاء النهر في الرواية في المقاطع التالية:

" نظرت إليها بتمعن وكأنها وجهتي الضفة المجاورة للنهر تسقط مسامات وجهها الوردي المزهر."[2]

" وقرب النهر ملأت بعض الجرار حملت إحداهما وأمسكت عنها بيدي اليسرى."[3]

" اقتربنا من النهر الذي رأيته فيها أول مرة..."[4]

النهر في هذه الرواية مكان خالي يلتقي فيه سيف بجنان في جوّ من السكينة يزينه صوت المياه، وأصوات العصافير، إذ تتلخص صورة النهر وجماليته، ومدى تأثر الشخصيات الروائية بهذا الجو بعد التقاء سيف بجنان على ضفة النهر وإعجابه بها.

المخيم:

هو المكان الذي تنصب فيه الخيام بشكل مؤقت، "فالمخيم واقع اللجوء والشتات، ومرارات من فقر وقمع واضطهاد وملاحقة الفدائيين."[5]

---

[1] ينظر: محمد حسن عبد الله ، الريف في الرواية العربية، ص200.

[2] زينب لوت، صخرة الرماد، ص134.

[3] زينب لوت، صخرة الرماد ، ص138.

[4] المرجع نفسه، ص140.

[5] الأسطة عادل، أدب المقاومة من تفاؤل البدايات إلى خيبة النهايات، ص41.

المخيم في الرواية يمثل المكان المأساوي الذي وقعت فيه انفجارات نتج عنها تشتت العائلات وفقدان أغلب أفرادها ليصبح المكان مجرد أطلال لينتقل سكانها بعد ذلك إلى مكان آخر بحثا عن الاستقرار فالمخيم " هو مكان قسري للعيش المؤقت فقط وتذكار بالشتات."[1]

تذكر الكاتبة المخيم فيما يلي:

" تمسكها يد لتحمل جسدها وتترك روحها معلقة ينسجها الماضي بين الحقول والمخيّمات."[2] أين كانت تلتقي بجاسم بعد إرغامها على الزواج من غيره فالمخيم كان لها مكان لاسترجاع ذكريات ماضيها. " يخرج من كان في المخيم هربا تحاول ماجدة الاتجاه نحو جاسم... جثته تتفحم أمامها."[3]

ينفخ الصباح نوره لعدما اكتسى الليل صوت القذائف وهرولة الحروب وزحفها بالقرب من المخيمات."[4]

يقابل ذكر المخيم ضياع الكرامة، ضياع الأرض، معاناة الفلسطيني لا استقرار وعلى الرغم من ذلك فإن المخيم هو ملجأ الثوار.

وفي عبارة أخرى:

---

[1] عبد الخالق غسان إسماعيل، الزمان المكان النص اتجاهات الرواية العربية المعاصرة في الأردن (1980-1990)، ص9.

[2] زينب لوت، صخرة الرماد، ص146.

[3] المرجع نفسه، ص150.

[4] المرجع نفسه، ص150.

" ينفخ الصباح نوره بعدما اكتسى الليل صوت القذائف... وهرولة الحرب وزحفها بالقرب من المخيّمات."[1]

" يخرج من كان في المخيم هاربا، تحاول ماجدة الاتجاه نحو جاسم."[2]

يشير المخيم في رواية "صخرة الرماد" على الهجرة والتنقل، كما أنه بؤرة للحروب، ولعلّ الفلسطيني نموذج في المعاناة والهوان لضياع أرضه، فالأرض لا تمثل القيمة المادية فقط بل تتعدى إلى القيمة المعنوية، فالأرض معنويا هي الكرامة وبالتالي غياب الأولى هي غياب للثانية.

المقبرة:

المأوى الأخير للإنسان بعد مفارقته للحياة، وهو مكان الإقامة الإجبارية الذي يفصل المرء ويبعده عن العالم الخارجي، ويكون غالبا مكان هادئ مساحته شاسعة يعم فيها نوع من السكون والصمت المطلق و" لا يتواجد فيه الزمان والمكان فتتحولان لشيء واحد فهو مكان لا متناه يضم كل أنماط المكان ودلالته."[3]

المقبرة في رواية في "صخرة الرماد" مكان من بين الأماكن الذي ساهم في تكوين بنية نص الرواية سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر.

---

[1] المرجع نفسه، ص150.

[2] المرجع نفسه، ص150.

[3] محمد عيد الطربولي، المكان في الشعر الأندلسي (من عصر المرابطين إلى نهاية الحكم العربي)، (448هـ-897هـ)، (ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة، 2005) ص101.

ويظهر في الرواية كمكان للهدوء والسكينة، وحاول البطل سيزيف توضيح وإبراز المكان ووظفه من خلال تصوير بيته الغالي من الأطفال " بمقبرة براغ" " بيتي كان مثل (مقبرة براغ) والآن صار روض أطفال يشعرني أني مازلت على قيد الحياة."[1]

فالشخصية الساردة هنا حاولت تجسيد المكان "المقبرة" بمقابلتها ببنية مكانية أخرى وهي "البيت الغالي" من خلال اشتراكهما في صفات الصمت المطلق وانعدام الحركة.

المقبرة في رواية " صخرة الرماد" المكان الذي يقصده سيزيف عبر أبواق الذاكرة وهو يصفها بخلائها الباعث لشعور الوحشية وبارتفاعها الذي يعلو تلال (بيت ياحون) اللبنانية خلاء موحش حيث يكتمل وجع غريب لابد من مواجهة تستفز اللقاء ثانية، يتسارع ظلي خلفه، لكنه يواصل السير على مقبرة (الياسمين) التي تعلو تلال (بيت ياحون) اللبنانية مثقل بالحنين والشوق... ويلتفت كل مرة ليجد أن الصوت خلفه مجرد ردّة فعل الطبيعة للفراغ حوله."[2]

تواصل الشخصية البطلة سرد الأحداث باستحضار جانب من "مقبرة الياسمين" كونها المكان الذي احتضن جثمان أمه الراحلة " ماجدة" لترقد روحها بسلام، تاركة وراءها فراغا يحرك شعور سيزيف المثقل بالحزن والأسى متأملا طبيعة ذلك المكان الموحش والمآل الأخير للإنسان متوجها إلى قبر أمه.

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص29.

[2] زينب لوت، صخرة الرماد، ص38.

" يبعثر مسار الحروف فلا شيء يبقى غير أشلاء تنام في عمق أديم الأرض، نحو غياب ينتعل أقدامه وهو يتوجه حيث ترقد ماجدة والدة سيف المسافرة كوردة في الثلج، يمشي تحت ظل الأشجار التي التوت من طول انتظار...

يخطو خطوات متثاقلة كأنه يعيد الزمن كجزر ومد وبين ذكريات بدأت تتلف في طريقه المستدير، حتى وصل منكسرا بجسده المنثني أمام مرقدها بعدما امتلأت رجلاه ترابا وجسده ندوب كطفل يريد ملامسة صدر أمه..."[1]

يظهر المكان في هذا المقطع السردي كمحفّز للذاكرة واسترجاع الماضي، كما أنه الحلقة التي تصل بين الشخصيات عن طريق الزمن. ويمزج السارد بين المكان وحالة الحزن التي يقف عند حدها البطل كإحساس عبر الذاكرة.

وشارك هذا المكان " المقبرة" في تشكيل مادة حكائية مبنية على تسلسل الأحداث، ونقلت للقارئ المعاني التي تحملها من صمت وهدوء وسكينة تامة، كما كان المكان الذي شارك في تكوين سمات الشخصية البطلة سيزيف مما جعله يتأثر بذلك المكان محملا نحوه بمجموعة من الأحاسيس المتمثلة في الشوق والحنين والحزن والأسى."

[1] زينب لوت، صخرة الرماد ، ص 38.

الأمكنة المغلقة:

" تتصف هذه الأماكن بالمحدودية بحيث أنّ الفعل لا يتجاوز الإطار المحدد كالبيت والغرفة، ويتمثل في أماكن اختيارية مثل فضاء البيوت وما هو متعلق به من جهة وأماكن إقامة إجبارية مثل فضاء السجون وما هو متعلق به من جهة أخرى."[1]

ويعرّفها شريف حبيلة بأنها:

" الأماكن التي تقيم فيها الشخصيات وتشكلها حسب أفكارها، والشكل الهندسي يروقها، ويناسب تطورات عصرها، وينهض المكان المغلق كنقيض للفضاء المفتوح فقد جعل الروائيون هذه الأمكنة إطار لأحداث قصصهم وإقامة شخصياتهم."[2]

وهذا يعني بأن مختلف الأماكن المغلقة سواء في الحياة العملية أو الحياة الفنية تمثل أمكنة إقامة، فهي مرجع الإنسان في نهاية اليوم، وهي رمز للراحة والاستراحة إذ أدّت هذه الأماكن دورا مهما في الرواية وذلك من خلال العلاقة بين الشخصيات الروائية والأماكن التي تعيش فيها، إذ تولد هذه الأماكن الأحاسيس المتناقضة التي توحي دائما بالراحة والأمان.

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص41.

[2] شريف حبيلة، الرواية والعنف، ص26.

البيت:

يعد البيت مطلب من المطالب الأساسية لحياة الإنسان والحضن الأوّل الذي يعتنقه في سلك جماعة متآلفة متضامنة متجانسة." فهو يمثل مظهرا من مظاهر الحياة الداخلية لكل فرد."[1]

وباعتباره الموطن الأول الذي تتعلق به الشخصية قبل اتصالها بالعالم الخارجي وصفه غاستون باشلار بأنه: " جسد وروح وهو عالم الإنسان الأول، قبل أن يقذف الإنسان العالم."[2] وهو بذلك يحمل كل معاني الألفة الباعثة لمشاعر الأمان والطمأنينة، والحلقة الفاصلة بين معنى التشرد والاستقرار " فالبيوت والمنازل تشكل نموذجا ملائما لدراسة قيم الألفة ومظاهر الحياة الداخلية التي تعيشها الشخصيات."[3]

فالشخصية مهما ابتعدت عن هذا المكان " البيت" إلا أنه يبقى عالقا في أصقاع ذاكرتها محملة تجاهه بمجموعة من الأحاسيس المتمثلة في الشوق والحنين لتنتقل إليها عبر واسطة أحلام اليقظة، "البيت هو واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام

---

[1] فاطمة عجوج، المكان ودلالته في الرواية المغاربية المعاصرة، رسالة دكتوراه، نقلا عن عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة)، (ط1، تونس، دار محمد علي، 2003)، ص48.

[2] غاستون باشلار، جماليات المكان، ص38.

[3] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص43.

الإنسانية ومبدأ هذا الدمج وأساسه هما أحلام اليقظة ويمنح الماضي والحاضر والمستقبل البيت دينامية مختلفة."[1]

" فهو بوصفه مكانا مغلقا يحمل دلالة مزدوجة، سلبية إيجابية فانغلاقه يعني في الغالب مزيدا من الأمان والطمأنينة والأهم من ذلك مزيدا من الحرية، فهو يختلف عن غيره من الأمكنة المغلقة في أنّ الإنسان يمارس فيه حرّيته كيفما شاء، فهو يمثل مكانا للإقامة الاجبارية لأنه يعمل صفة الألفة وانبعاث الدفء العاطفي وعلى الرغم من أنه يرتبط بالأمان والاستقرار وبالطفولة وذكرياتها، فإنه قد ينقلب إلى النقيض من ذلك، فيصبح مكانا للتوجس والخوف، ومصدر للشقاء وسجنا الأحلام والطموحات."[2]

يتخذ هذا المكان "البيت" في قصة الرواية صورا مختلفة الأبعاد مقترنة بالعديد من الشخصيات لتشكل سلسلة من الأحداث من خلال تفاصيلها الحياتية. ويسقط البطل سيزيف ذكرياته المحملة بألم الفراق وحزن البعاد ويأخذه الشوق والحنين عبر المكان لاسترجاع ذكريات الطفولة مع أخيه عمر وأخته رحمة وأمه وأبيه " سقطت ذاكرتي تتدحرج في المكان... خف أمي حين أشعلت الموقد على الماء للوضوء... والدي يجر نعله متثاقلا نحو فناء البيت..."[3]

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي ، ص43.

[2] حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، ص134.

[3] زينب لوت، صخرة الرماد، ص106.

" لم ينظر حتى إلى عيوننا التي لم تجف لفقدان أمنا "ماجدة" لنهرب قبل أن يحضروا يا رحمة.

نأخذ أخانا من بيت جدّتي التي ستجعله نسخة من (ماجدة) سينهض لسقي الماء وإحضار الخشب من المرتفعات."[1]

" تجتمع بي ليلا وقد صرت أكبر طولا، لتخبرني بضرورة رحيلنا إلى بيت (أرمين) ولا ضرر من ذلك حيث ستستلمني الراهبات شهادة تعلم وتمكنه من التسجيل ثانية للدراسة وقد حملتني الأم تريزا مجموعة كتب وروايات للقراءة..."[2]

شهد هذا المكان في هذه الرواية تحولات مختلفة من حيث الدلالات والمعاني أو من حيث التنقل، حيث ظهر في الموضع الأول كمكان يحمل معنى الألفة والاستقرار ليتحوّل إلى مكان للتوجس والنفور.

كما أبرز كيفية انتقالية تسمح للشخصيات بالانتقال من مكان إلى آخر "البيت الأول" ببيت الجدة" " بيت أرمين" وذلك لتأزم أوضاع الشخصيات وعدم استقرارها.

ويظهر في بعض المقاطع السردية كبيّنة وضعية ينقل من خلالها البطل سيزيف طبيعة الصور الدالة باختلاف مدلولها.

" كان الرواق الذي يجمع الغرف في بيت رشا مملوء باللوحات المنتظمة حسب قامة الإطار ينتهي بوجود أخرى، كلها تلتصق بالتاريخ الرسمي ومسميات وأيادي رسمتها،

[1] زينب لوت، صخرة الرماد ، ص114.

[2] المرجع السابق، ص118.

انصياع الألوان الزيتية تصبغ سيزيف الحركة والإيهام، أمدّ يدي نحوها، يتد عبر جدران يختزل أنفاس الحكايات التي تغرز أسرارها خلف تفاصيل كل لوحة غامضة كالغيوم التي تخمن تحديد أشكالها أو ترسم ألوان في زئبقية حركتها في العلو العميق، وهي تنظر للريشة ترسم تفاصيلها تتنفس الحياة وتمضغ بعض التفكير في فمها تلك الدهشة الحبلى بالتخيّلات."[1]

يصف البطل طبيعة الصور المعلقة التي رسمتها البطلة "رشا" واتخذت عن طريقها وسيلة للتنفيس عما بداخلها أو للهروب من أحزانها سرعان ما تفصح ألوانها العاكسة حالتها الحزينة بسبب مرضها الخبيث الذي يعكر صفو حياتها.

وفي موضع آخر " يضع الفنجان وكوب من ماء قرب شقيقه المحدق في كل زاوية في البيت ليجد صور (عمر) في كل الألعاب الرياضية، الشطرنج، الركض وميدالية السباحة في أول رف من رفوف المنزل الخافت الألوان وصور الرحلات... ضحكتك هناك جميلة تعاند الربيع إذا ارتشق مساحيق الشذى كنت سعيدا حقا (عمر)."[2]

ويتخذ سيزيف من الصور المعلقة في زوايا البيت وسيلة لاسترجاع ذكريات عمر المختزلة لحياته خلال فترة ابتعاده عن أخيه. وبرز "البيت" كبنية درامية يمثل مسرح للجريمة التي ارتكبها حسام " أنا من قتل (منصور) تلك الليلة وتركته مرميا حين خرج ليلا في وقت متأخر لشراء أطعمة يقتات منها كجرذ يخاف النهار تبعته ودخلت معه البيت... دفعته خلف

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص13.

[2] المرجع السابق، ص81.

الباب وبسبب ذكر رحمة بسوء، ضربت رأسه بالجدار عدّة مرات حتى فقد الوعي... وهوى على طاولة ثابتة بقربه إنني مجرم وهذا مصيري المحتوم."[1]

وكبنية دلالية توحي إلى معاني الألم والمعاناة التي تعيشها "رحمة" مع زوجها منصور "لكن جروحها كانت أعمق من غدر (منصور) بعدما تزوجها وحولها لخادمة بيوت."[2] وكبيئة تفسيرية تعكس طبيعة الأوضاع التي تعيشها الشخصيات "ماجدة" و"جاسم" جراء الحروب التي تشهدها فلسطين "رام الله" "وتدخله للبيت يتحدّثان عن الدراسة وطول البرامج وانقطاعها بسبب في (رام الله) لكن الدمار زرع بعض القلوب الصغيرة التي تعلم بالمغيب تحت الزيتون..."[3]

وفي موضع آخر كمكان تنتقل إليه "ماجدة" وتستقر فيه بعدما فقدت حبيبتها جاسم للأبد " يخرج من كان في المخيم هربا، تحاول (ماجدة) الاتجاه نحو جاسم... جثته تتفحم أمامها... تندب وتصرخ وتمرغ جسدها بالتراب ... تمسكها (العنود) وابنها بقوة نحو الخروج... والابتعاد عن المكان حتى أصبحت تمشي بحسد فقد ملامح الوجود... على أن وصلت للحدود ليلا فاتخذت معها مسنا في بيت ياحون محافظة (النبطة)."[4]

---

[1] زينب لوت، صخرة الرماد ، ص133.

[2] المرجع السابق، ص127.

[3] المرجع نفسه، ص145.

[4] زينب لوت، صخرة الرماد، ص151.

تواتر ظهور هذا المكان في الرواية وساهم في تشكيل أحداثها كثيرا، وجاء كمكان يحمل دلالات ومعاني مختلفة كما يرسم صورا تحاكي طبيعة تلك الشخصيات وترصد مشاعرها تجاه المكان.

السجن:

هو مكان إجباري مغلق من كل الجوانب بأسواره العالية، ومؤسسة ردعية تأديبية تطبق سياسة قمعية خاصة على المجرمين والمخالفين للقوانين، بحيث بعزل كل من أذنب في حق غيره في المجتمع، ويجردها من أبسط حقوقها، فهو بذلك العالم الذي يفيد الإنسان ويسلب له حريته. ويعرّفه حسن بحراوي بأنه: " نقطة انتقال من الخارج إلى الداخل ومن العالم إلى الذات بالنسبة للنزيل، بما يتضمنه ذلك الانتقال من تحول في القيم والعادات، وإثقال كاهله بالالتزامات والمحظورات."[1]

إنه " أشد الأمكنة ضيقا وسلبا للحرية فهو يتميز بالإغلاق وتحديد حرية الحركة، وهو مصدر المرارة والألم التي توضح مشاعر الشخصيات التي توجد بداخله."[2]

ويقر مصطفى تواتي بحقيقة السجن فـ" إذا كانت حرية الإنسان هي جوهر وجودة والقية الأساسية لحياته، فإن السجن استلاب لهذه الحرية، وبالتالي فهو استلاب للوجود وإهدار للحياة."[1]

---

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص55.

[2] عبد الحميد بورايو، المكان والزمان في الرواية الجزائرية، مجلة المجاهد، ع1392، 1987، ص65.

أمّا في رواية "صخرة الرماد" على الرغم من أن السجن المكان الذي سلب حرية بعض الشخصيات، مثل الشخصية البطلة سيزيف "ليجد نفسه بين زنزانة تظلم فيها من فت الهواء فلا يتنفس سوى ما يمكن استنفاذه خلف القضبان السوداء وهي تحجر حريته التي لا تحجر إلاّ بكراهية وحقد في قلبه مع مرور الزمن."[2]

بسبب تهمة قتل الزوج أخته "سيف معلوف أت موقوف بسبب قتل متعمد للسيد (غريب منصور)..."[3] فإنه في الوقت نفسه المكان الذي أتاح فرصة اللقاء والتعرف بين الشخصية البطلة "سيزيف" والشخصية المجرمة "حليس" "على أن السجن وإن كاد يراد به في الاستعمال اللغوي ذلك المكان الذي تنعدم فيه الحرية، فإن الروائي يمكنه أن يعطيه، في بعض السياقات، بعدا جديدا ودلالة مخالفة وغير متطابقة مع التفسير الاصطلاحي الشائع. وهكذا مثلا تتحول كلمة (سجن) عن معناها التداولي لتملئ بدلالة جديدة وغير معمودة، ويصبح السجن موضوع ثنائية مفارقة تجمع بين افتقاد الحرية وحرية اللقاء."[4]

وبعد تعرضه لاختبار الشجاعة من طرف النزيل وتوفيقه فيه قرّر أن يتخذه صديقا له "هذا الرجل الذي كنت أبحث عنه... (وطلب إقامة سريره بالقرب منه وراح يحكي قصته..."[5]

---

[1] مصطفى تواتي، دراسة في رواية نجيب محفوظ (اللص والكلاب، الطريق، الشحاذ)، (ط3، بيروت، لبنان، دار الفرابي، 2008)، ص106-107.

[2] زينب لوت، صخرة الرماد، ص131.

[3] المرجع نفسه، ص131.

[4] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص63.

[5] المرجع السابق، ص ن.

وبعد حوار طويل دام بينهما ووثوقه به، وتأكده من براءة سيزيف وإفراجه عن قريب، كلفه بمهمة زيارة ابنة زوجته "جنان" التي فارقها منذ سنين ومنها بعض النقود "يصرخ الجميع فرحا... يباركون له الحرية التي يعانقون فيه أصواتهم... يمنح الجميع فرحا... يباركون له الحرّية التي يعانقون فيه أصواتهم... يمنح (حليس) المال خفية عن الجميع، ويوصيه بابنته متوسلا."[1]

بعد قبضهم على الشخصية الفاعلة "حسام" واعترافه بالجريمة التي ارتكبها "وهو خارج يتقاطع عند الباب مع (حسام) ماذا تفعل هنا؟

انا من قابل (منصور) تلك الليلة وتركته مرميا .... حن خرج ليلا في وقت متأخر لشراء أطعمة يقتات منها كجرد يخاف النهار تبعته ودخلت معه البيت... ودفعته خلف الباب بسبب ذكر "رحمة" بسوء، ضربت رأسه بالجدار مرات عدة، حتى فقد الوعي...وهوى على طاولة ثابتة يقربه أنني مجرم وهذا مصيري المختوم لن أغيّر شيئا سوى خروجك من هذا الظلم."[2] السجن هنا هو المكان الذي التهم شخصية "حسام" وراء قضبانه بعد اعترافه بالجريمة الشنعاء التي ارتكبها في حق منصور دفاعا عن رحمة شقيقة صديقه سيزيف.

كما يعد في الرواية المكان الذي غيّر مسار حياة سيزيف من السيء إلى الأسوء حيث ألغى رحلة سفره إلى الجنوب " لكنني سأسافر للجنوب إذا خرجت من هذه الجريمة

[1] نفس المرجع ، ص133.

[2] زينب لوت، صخرة الرماد، ص133.

التي تلبس من رأسي لقدمي..."[1] مكملا مشواره ليوفي بوصية حليس ممهدا لهذا الطريق بمقولة "حياتي مشدودة نحو مغامرة، تمسكني نحو المجهول لا بحث عن شيء... يكدسني في الورق المحشو بالحكايات."[2]

تبدأ رحلة بحثه بتعرفة إلى العجوز الذي كشف له عن حقيقة "حليس" ويعرفه بابنته "جنان" يقرر "سيف" حمايتها بعقد قران معها، وبعد موت العجوز يظهر حليس هاربا من السجن يحاول قتل جنان بعد محاولته التقرب إليها ورفضها له وتقبض عليه الشرطة من جديد، تصاب حنان وتفقد رحمها ويعلم سيف بالأمر وتتلقى هي الصدمة، تهرب من المستشفى ويفقدها سيف ويعود إلى نقطة الصفر.

وذكر السجن أيضا في إحدى المواضع في الرواية على أنّه المكان الذي يسجن فيه المجرمون، وكذلك الأحرار الذين لم تثبت براءتهم "لا ... السجن للمرميين أو المتهورين... وأحيانا يقنع الخائبون في إثبات براءتهم."[3]

فالسجن في رواية "صخرة الرماد" حمل دلالتين متضادتين "إيجابية سلبية"

إيجابية: يحمل دلالة مفارقة لدلالته الأصلية السلبية المرتبطة بسلب الحرية وتقيّد الحركة بالنسبة لأحداث الرواية حيث كان إحدى العوامل المساعدة على تحريك أحداث القصة وتطورها.

---

[1] المرجع السابق، ص132.

[2] المرجع نفسه، ص134.

[3] زينب لوت، صخرة الرماد، ص135.

سلبية: بالنسبة للشخصية البطلة "سيزيف" حيث سلب منه حريته ظلما، كما جلب له الشؤم والحظ السيء، وبهذا هو المكان الذي يُصدِّر الألم والاحتراق.

الغرفة:

مكان مغلق محدود المساحة من جهاته الأربعة، والغرفة هي مصدر الأمن والراحة والطمأنينة للشخصية كونها المكان الوحيد الذي تتصرف فيه بكل حرّية، وقال عنها ياسين النصير بأنها " يقع فوق الأرض تحجب النور وتضعه، وتجعل لباحتها الصغيرة إمكانية تعويضه عن الفضاء السمح الآفل، فاستطاع الإنسان بخبرته وحاجاته وتعدد أزمنته وتعاقبها أن يوطن نفسه السكن فيها والسكن فيه، فالغرفة في تكوينها الفكري حاجات لا بديل لها، وحاجات تتزايد بتعدد الحاجات الجديدة..."[1]

كما يصبح للغرفة أيضا معنى الحماية والألفة، " وتصبح الغرفة غطاء للإنسان، يدخلها فيخلع جزء من ملابسه ويدخله ليرتدي جزء آخر، وعندما يألفها يتحرك أكثر وإذا اطمأن تماسكها، بدأ بالتعري فيها، التعري الجسدي والفكري، ولكنه عندما يخرج منها يعيد تماسكه ويبدو كما لو أنه خرج من تحت الغطاء.."[2]

[1] ياسين النصير، الموسوعة الصغيرة الرواية والمكان، (دط، بغداد، العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، 1986)، ص73.

[2] حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، (ط1، عمان، الأردن، دار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، 2006)، ص95.

الغرفة في الرواية المكان الأكثر خصوصية والأكثر احتواء للإنسان، وهذا ما يتضح في هذه المقولة: " أهلا بك سيف أنا في غرفتي أحضر حقيبة ملابسي، استرح في الصالون."[1]

وارتبط هذا المكان أيضا ببطلة الرواية "رشا" حيث اشتغلت الكاتبة على هذا العنصر لتسرد حدثا مهما في الرواية وهي الحالة المرضية التي تعاني منها البطلة، حيث قامت بوصفها وهي في غرف الطوارئ وغرف المستشفى.

" بعد إجراء العملية...

فتحت الباب على غرفتها وجدتها تغلق وتفتح عينيها لكنها مستديرة نحو النافذة وكأنما تنتظر أحدا أو تلمح شيئا ما..."[2]

"بينما يخرج من غرفتها وهي تلوح له بالوداع..."[3]

"تمسكه منى بالقرب من غرفة الطوارئ التي تحبس جسد شقيقتها."[4]

ويتعلق اسم الغرفة بالبطل حيث صوّر لنا هذا المكان الحافل بالذكريات على أنه المكان الحامل لذكريات أمه، "ترفع الستار على غرفتي لتعيد الغطاء على صدري... أفتح

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص121.

[2] زينب لوت، صخرة الرماد ، ص26.

[3] المرجع السابق، ص30.

[4] المرجع نفسه، ص33.

بعضا من عيني فتقبل خدي حتى ينمو السحر عليه، وترسوا مواسم أخرى لا تدركها الفصول من حولنا..."[1] وهو ما يدل أيضا على أنها مكان الألفة والحماية.

اختلفت المواضع التي ذكرت فيها "الغرفة" في الرواية حيث حملت في موضع كل معاني الحماية والاستقرار، وحملت في موضع آخر معنى مخالف لمعناها الحقيقي حيث لم تعد ذلك المكان الذي يحتمي فيه الإنسان فهي تدل على الخوف والقلق والظروف غير المستقرة بالنسبة لغرف المستشفى التي مكثت فيها البطلة رشا.

المستشفى:

هو مكان يقصده المرضى من أجل العلاج والتأهيل، ويحوي أقساما متنوعة مجهزة بطاقم طبي وغرف للعمليات وغرف للمرضى وغرف للإنعاش. "يتخذ في الواقع شكل مكان العلاج، لا يركن بزواره المؤقتين يأتونه من أمكنة مختلفة بحثا عن الشفاء، ثم يغادرونه فهو في النص الروائي يكتسب تشكيلا جماليا خاصا، يتموقع دائما على طرف المدينة حيث السكون والهدوء لأنه وجد أساسا لتقديم الراحة والاطمئنان من أجل الشفاء."[2] ويمثل المستشفى القطاع الذي يقدم فيه العلاج الذي يحقق الراحة والطمأنينة والكثير من المساعدات الإنسانية وذلك من أجل مداواة المرضى، ويكون بذلك مبعث العافية تحت الأيادي الآمنة.

[1] المرجع نفسه، ص106.

[2] الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، ص238.

وللمستشفى دور كبير في الرواية، ويظهر بشكل قوي ومتميز ويرتبط هذا الاسم بمستشفى "رويال مرسدن" بلندن، وهو المكان الذي توجهت إليه "رشا" من أجل العلاج من مرضها السرطاني الخبيث " في الصباح الموالي من زيارة (سيف) يرن الهاتف بقربه فينهض مسرعا يجد رقم المستشفى "رويال مرسدن".

خيرا اللهم اجعله خيرا...

سيد (سيف معلوف) معنا

أجل السيدة رشا تعرضت لنزيف داخلي..[1]

يظهر المشفى في هذا المقطع كقطاع صحي تتلقى فيه البطلة "رشا" العلاج الكيماوي، كما ساهمت هذه المقاطع الحوارية في الكشف عن خصوصية تلك البنية المكانية التي تتمثل في العلاج والتأهيل، و"تنظر رشا حولها وكأنها تمارس مهنتها الصحفية التي هجرتها في فترة دخولها المستشفى، تثيرها الوجوه حولها وكأنها تبحث عن شيء مفقود من ذاتها..."[2]

كما يظهر هذا المكان في الرواية كحد يفصل رشا عن مهنتها المفضلة ألا وهي الصحافة، كما توضح المقولة شكل المستشفى باعتباره من الأماكن المغلقة المفيدة التي تعزل الإنسان عن العالم الخارجي، والمستشفى هو المكان الذي حاول فيه "سابا" علاج عمر شقيق "سيف" بعد تعرّضه لحمى قويّة سببت له في الأخير بالشلل والإعاقة "أنا اعتنيت به كثيرا هو

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص31.

[2] المرجع السابق، ص21.

أمامك، اسأله... لكنه أصيب بحمى قوية وتشنّجت عضلاته، وعند وصوله للمستشفى تضاعفت حالته حتى أصبح مشلولا معاقا."[1]

يفصح المقطع السردي من خلال بنية المكان التي تمثل المستشفى المعاناة التي عاشها "عمر" وهو بعيد عن أخيه سيزيف، وأهم العقبات التي واجهته ليصل إلى الحالة التي هو فيها.

كما كان مسقط الولادات الجديدة حيث استقبل زوجة أفرو (AFRO) الإيطالي "وقد كان لصديقه الإيطالي أفرو (AFRO) دورا مهما في انتقال لكن تعذر عليه مصاحبته في الوقت الذي اشتد المغاص بزوجته في مستشفى الولادة اضطر للبقاء معها ريثما تتعافى."[2]

تنوعت المستشفيات التي تطرقت إليها الروائية وتواترت في نص الرواية بخدمتها الجليلة من أجل توفير شعور الراحة والاطمئنان لمقصديتها من المضامين والمرض "يمسك (حليس) الهارب من السجن وتنقل جنان إلى المستشفى سيارة اسعاف... لاتزال تنبض وتمسك يد (سيف) وهو يدعوها بالصبر ومقاومة الإصابة التي مست بطنها... وصلت للمستشفى وهناك فقدت رحمها بسبب الإصابة وتورمه، وانتزعت فكرة الأمومة."[3]

تنقل البنية المكانية الحالة التي وصلت إليها جنان بعد تعرضها لطعنة خنجر من طرف المجرم حليس، تكشف البنية من جهة أخرى عن شعور الشخصيات وحالاتها "لم يجد

[1] المرجع نفسه، ص79.

[2] زينب لوت، صخرة الرماد، ص142.

[3] المرجع السابق، ص ن.

سوى زفير هواء يتهاوى من النافذة، يركض بين أفنية المستشفى لا أحد رآها ولا أبصر وجودها."[1]

ويعد أيضا المكان الذي ينقل إليه "جاسم" حبيب "ماجدة" شبه جثة هامدة بعد تعرضه لتحريش الكلب المسعور عليه "يلحظ وجودها فيرمي بالكلب المسعور نحو "جاسم" الذي ألقى بجسده ليعمي حبيبته، ويدفعها للرحيل والهرب، يجتمع طويلا في المستشفى، بعدما نهش لحم ساقه حتى بتر."[2] كما يظهر الفراغ في المقولة ليعبر عن الظروف القاسية التي يمر بها جاسم حبيب ماجدة.

تنوعت المستشفيات التي تطرقت إليها الكاتبة كما تنوعت الخدمات التي قدّمتها هذه القطاعات، وكان مستشفى "رويال مرسدن" إحدى هذه المستشفيات وإن اختيار الكاتبة لهذا القطاع كنموذج في روايتها لم يكن عبثا وإنما للمكانة التي يحتلها، ولشهرته العالميّة لما يقدمه من طرق متطورة في العلاج التي يوفرها لجميع أنواع السرطان ولتمنح الرواية أبعادا أخرى توحي إلى حداثة منتوجها الروائي.

العمارة:

هي فن تصميم وتشييد المباني والمنشآت ليغطي بها الإنسان احتياجات مادية ومعنوية وذلك باستخدام مواد وأساليب انشائية مختلفة، والعمارة في شكلها المعروف (طوابق) جاءت فكرته حديثا من الغرب لضيق مساحات المدن وعوض أن يبني الإنسان بشكل أفقي

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص142.

[2] المرجع نفسه، ص145.

أصبح يستغل البناء العمودي. والعمارة لدى شاكر النابلسي في كتابه جماليات المكان: "مجمع سكني."[1] والملاحظ أن العمارة كمكان لم يذكر كثيرا في الرواية بل إشارة فقط كمكان للعيش ووقوع بعض الأحداث فيها، وذلك بغية التنويع في الأماكن المستعملة لتزيد النص جمالية وأناقة وحتى لا يمل القارئ من تكرار المكان.

الحمام:

"يمثل الحمام المكان الذي يشكل مهربا وموقعا للاحتفال، ورمز لاكتشاف المرأة ذاتها لأن هذا المكان هو الوحيد الذي تشعر المرأة فيه بالأمان دون أن تخشى صورة الآخر."[2]

وقد جاء الحمام في المقاطع التالية:

" يسقط من كابوس فيذهب مسرعا إلى الحمام ويغسل وجهه بالماء البارد بعدما كان على هاوية شرفة يريد السقوط... كان حلما."[3]

" لكنها خرجت من الحمام ووضعت ربطة عنق حمراء... حمراء... حمراء يا (خليل)... مثل التي علقتها عندما انتحرت."[4]

---

[1] شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربي، ص127.

[2] ينظر: حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، ص159.

[3] زينب لوت، صخرة الرماد، ص70.

[4] المرجع نفسه، ص97.

نلاحظ من خلال ما سبق أن الروائية أنه لم يأت على ذكر "الحمام" إلا في مواضع قليلة في النص نظرا لتعدد الأمكنة الأخرى التي تتواجد فيها الشخصيات فأشارت إليه فقط كمكان للاغتسال.

الزنزانة:

الزنزانة غرفة في مؤسسة عقابية تتصف بضيق المساحة تتميز عن السجن كونها مكان انفرادي مظلم لا جماعي موجودة لتضم المتطرفين عن القانون كأشد عقوبة.

"فالسجن ليس فضاء انتقال أو حركة، وإنما هو بالتأكيد فضاء إقامة وثبات، وإن كان ذلك بصفة مؤقتة، وفضلا عن ذلك فإن الإقامة في السجن خلافا لما سواها هي إقامة جبرية."[1] و"يزداد التضييق على حركة الشخصية عندما تكون نزيلة زنزانة انفرادية متناهية الضيق وسيئة التهوية مما يجعل قدرتها على الانتقال تعتزل إلى الصفر."[2]

فدخول سيف السجن كان نتيجة اتهامه بالقتل وعلى الرغم أن المكان مكان مغلق فعملية سرد الأحداث تواصلت حتى في السجن أين تعرف على حليس، لتبدأ حكايته الأخرى بعد خروجه، "فالسجن أعد أصلا لعزل الإنسان وشل قدرته... إنه حالة سلبية على نحو ما تؤكده الدلالة المركزية."[3]

---

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص66.

[2] المرجع نفسه، ص67.

[3] أوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، (دراسة بنيوية لنفوس ثائرة)، دار الأمل والنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص45.

وقد جاءت كلمة الزنزانة في الرواية:

"يجد نفسه بين زنزانة تظلم فيها منافذ الهواء."[1] وهذا دليل على شكل الزنزانة وضيقة وانعدام الهواء تقريبا فيه.

"يفتح الزنزانة حارس ينعكس ظله على التائهين فيهز بصوته الأجش سيف معلوف... انهض إفراج."[2]

ويخرج سيف من الزنزانة بعد اعتراف المجرم بالخطيئة لتظهر براءة سيف أخيرا.

ومن هنا نخلص إلى أن صورة الزنزانة مكان إجباري انفرادي عقابي، ولا يمكن استنفاذ إلا ما وراء القبطان السوداء وهي تجر حرية سيف التي تغمره بكراهية وحقد في قلبه مع مرور الزمن إلى أن ظهرت براءته.

كما أن الزنزانة هي المكان الذي تم فيه التعارف بين سيف وحليس الذي رحب به حينما دخل السجن، والكاتبة لم تُخرج الزنزانة عن صورتها المعروفة في الظلمة والانعزالية.

السينما:

هي مكان يقصده الناس للترفيه ومشاهدة الأفلام على اختلاف أنواعها، وهي "قاعة تزدحم فيها النماذج... تختلف فيها الوجوه."[3] والسنيما بالنسبة لسيف مكان أثر سلبا على

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص131.

[2] المرجع نفسه، ص132.

[3] زينب لوت، صخرة الرماد ، ص113.

نفسيته فالأفلام التي شاهدها تتحدث عن الانتحار ما جعله يتذكّر فاجعة انتحار أمه، ويقول سيف "سرعان ما تحول إلى قاعات السينما ... شاهدت الفيلم أربع مرات منذ انتاجه."[1]

السينما في الرواية مكان مغلق دارت في أحداث ثانوية في صفحة من صفحات الرواية.

بالنظر إلى كل ما سبق ساهمت كل من شخصيات الرواية وأحداثها بتنوع هذه الأماكن المفتوحة منها والمغلقة، واتخذت من مواقعها مسارحا تجسد من خلالها أفعالها التي تمثل أحداث الرواية.

وهذه الأحداث التي عرضتها قصة الرواية توحي إلى حالة التشتت والضياع بسبب الظروف السياسية والاجتماعية المضطربة، مما جعل شخصيات الرواية تعيش حالة التنقل والترحال من مكان إلى آخر.

كما تتجسد هذه الأماكن "المفتوحة والمغلقة" من خلال عالم الذاكرة، ذاكرة البطل سيزيف وهو يعيش حالة اغتراب يتخذ من البحر "المكان المفتوح" كمكان يتحرر فيه لتأملاته واستحضار ذكرياته المتعلقة به وبشخصيات الرواية التي اشتعلت أحداثها في حيز مكاني واسع يتفرع إلى أماكن مغلقة ضيقة وأماكن متسعة متحررة، وحصيلة القول نستنتج أنّ جل التقسيمات المكانية الواردة في العمل الأدبي ليست ثابتة على قاعدة متفق عليها من طرف النقاد والروائيين، ويأتي تنوّعها مقصودا من المؤلف لفتح روايته على الحركية والفاعلية.

[1] المرجع نفسه، ص13.

الفصل الثاني

علاقة المكان بالمكوّنات السردية

- علاقة المكان بالشخصية
- علاقة المكان بالأحداث
- علاقة المكان بالزمان

علاقة المكان بالمكوّنات السردية:

المكان باعتباره بنية من البنى السردية فهو يقوم على علاقات مع مكوّنات السرد الأخرى تساعده في بنائه داخل المتن الحكائي و" المكان عنصر أساسي في الرواية، يحتاج إلى وقفة متأنية حيث يعدّ عنصرا لا يمكن أن نتجاوزه في أي عمل روائي، فالشخصيات تحتاج إلى مكان نتحرك فيه، والزمان يحتاج لمكان يحلّ فيه، وينتقل من خلاله وكذلك الأحداث الروائية والسرد..."[1] وهو "لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد وإنّما يدخل في علاقات متعددة مع المكوّنات الحكائية الأخرى للسرد كالشخصيات والأحداث والرؤيات السردية... وعدم النظر إليه ضمن هذه العلاقات والصلات التي يقدمها يجعل من العسير فهم الدور النصي الذي ينهض به الفضاء الروائي داخل السرد."[2]

ويمثل المكان بذلك حلقة وصل تربط أجزاء العمل الفني بعضها ببعض "ذلك أن كل عنصر فيها يكمل ويبرز الآخر، فالمكان هو الخلفية التي تقع عليها أحداث الرواية وتتفاعل في إطاره الشخصيات والأفكار، ويحرك خيال القارئ لتصور الأمكنة من خلال الوصف فهذه العلاقة المتينة التي تجمع بيم المكان وبقية المكوّنات السردية، شبهها حميد لحميداني

[1] صالح صلاح، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، (ط1، القاهرة، دار شرقيات، 1997)، ص20.

[2] حسن بحراوي، بنية المكان الروائي، ص26.

بالخلية الحية، فإذا كان الزمن والشخصيات والأحداث يمثلون النواة داخل هذه الخلية، فإن المكان يمثل السيتوبلازم الذي تنسج فيه تلك النواة."[1]

فالرواية كجنس لا تتشكل إلاّ من خلال هذه العلاقات المتكاملة بين هذه العناصر التي تساهم في تفكيك بنية النص الروائي وفهمها.

كما يؤكّد "عبد المالك مرتاض" طبيعة العلاقة القائمة بين هذه العناصر السردية "المكان، الزمان، الأحداث، الشخصيات" المبنية على التأثير والتأثر أو ما يسمى بعلاقة التفاعل، فكل عنصر من هذه العناصر يلازم الآخر ليدخل معه في علاقة متشابكة متكاملة، وإنّ الفصل بين هذه العناصر أو غياب أحدهما يشكل خلخلة في بناء النص الروائي، فلا تستطيع تخيل رواية بغياب هذه المكوّنات السردية ولا سبيل لنا للفصل بينها ولا يسعنا النظر إليها من زاوية التشتت والانفصال، لأن ذلك "لا يكون وفيا لصورة الكتابة السردية التي ينهض بناؤها على اندماج العناصر في العناصر، وتحلل المواد في المواد الأخرى إذ لا يفكر الكاتب في الزمن وهو يكتب منعزلا عن الحيز، ولا في الحيز منعزلا عن الزمن، ولا بناء النسيج اللغوي منفصلا عن الحدث الذي يضطرب فيه ولا بناء الشخصية ورسم ملامحها (في الكتابة الروائية التقليدية خصوصا)، أو طمس معالمها (...) في الكتابة

[1] حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص81.

الروائية الجديدة، فتوزيع هذه العناصر وتجزئتها لا يعدو أن يكون ضربا من التيسير الإجرائي."[1]

ولتوضيح هذه العلاقة أكثر، تطرقنا إلى دراسة المكان مقترنا بمكوّنات السرد الأخرى كالزمان والأحداث والشخصيات، باعتباره البنية المحركة لأحداث الرواية، والبنية التي لا تنفصل عن الزمن والشخصية والمكون العضوي الذي يؤثر في مجموع عناصر البنية السردية ويتأثر بها، وهذا ما يجعل منه عنصرا فعّالا يحتل مكانة هامة بين باقي مكوّنات السرد الأخرى.

علاقة المكان بالشخصية:

تعرّف الشخصية بأنها "كل مشارك في أحداث الحكاية، سلبا أو إيجابا، أما من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات، بل يكون جزء من الوصف، فهي عنصر مصنوع ككل عناصر الحكاية، فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها، ويصور أفعالها، وينقل أفكارها وأقوالها."[2] والشخصية أساس الدراسات الأدبية، فهي "القطب الذي يتمحور

[1] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية "بحث في تقنيات السرد، (دط، الكويت، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1998)، ص223.

[2] لطيف زيتوني، معجم المصطلحات (نقد الرواية)، (ط1، لبنان، مكتبة لبنان الناشرون، 2002)، ص113 إلى 114.

حوله الخطاب السردي، وهي عموده الفقري الذي ترتكز عليه."[1] وأساس الرواية "إن أساس الرواية الجيدة هو خلق الشخصيات."[2]

كما أنها "تحتاج إلى مكان ليس لوقوع الحدث فيه فحسب بل لتأثيره في الشخوص والحوادث، وقدرته على حمل الدلالات والإشارات التي تكشف عن الحالة النفسية أو الاجتماعية لشخصية ما، أو تكشف عن أحوال سياسية فكرية واقتصادية لشخصيات أخرى."[3]

إنّ جنس الرواية يستلزم بالضرورة حضور هذه المكونات السردية "الشخصية والمكان" التي تساهم في تشكيل العمل الفني، وإنّ هذه العملية تستلزم أيضا علاقات تبادلية تحقق بها العناصر قيمتها في ساحة النص الفني. وتربط بين هاذين العنصرين "المكان والشخصية" علاقات عضوية متراصة، ويتمحور ذلك في عدم تخييل "الإنسان الشخصية بدون وجودهما في المكان، فالعلاقة بين الشخصية والمكان علاقة تأثير وتبادل فالإنسان يمارس فاعليته في

[1] جميلة قيسون، الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، قسنطينة، ع13، جوان 2000، ص195.

[2] حسني حمدي، الشخصية الروائية عند محمود تيمور بين النظرية والتطبيق، (دط، القاهرة، دار الثقافة، 1988)، ص38.

[3] الصدفي عالية أنور، شعرية الأمكنة في روايات يحيى يخلف، (ط1، الأردن، المعتز للنشر والتوزيع، 2008)، ص120

المكان بل ويغير من طبيعته في كثير من الأحيان، ثم يعود المكان فيمارس تأثيره على الشخصية في دورة لا تنتهي من التأثير المتبادل."[1]

كما أنّهما متلازمان يبرز كل منهما الآخر ويكمله فالشخصية حينما تفرض نفسها في المكان "إنّما تعبّر عن المكان الملموس وما يترك أثره فيها، كما يعمد المؤلف الدرامي إلى ترك الشخصية وتقرير حرية المصير من خلال تعدد الأفكار والأحاسيس التي يكون فيها المكان نقطة ترابط الأمكنة السابقة واللاحقة."[2] والمكان "لا يتشكل إلاّ باحتراق الأبطال له."[3] كما أنه يتخذ قيمته الحقيقية من خلال علاقته بالشخصية."[4]

وهو عنصر "من العناصر الفاعلة في تحديد ملامح الشخصيات وطبيعة أفعالها."[5] و"يشكل المكان في النص القصصي الإطار الحركي لأفعال الشخصيات فضلا عن وظيفته في تفسير صفات الشخصيات وطبائعها عندما يعكس مواقفها وسلوكها، ويوضع معالمها الداخلية والخارجية."[6] ولا يغيب بدوره الفعّال في حياة الشخصية فهو الذي يثير فيها "إحساسا بالمواطنة، وإحساسا آخر بالزمن وبالمحلية، حتى لتحسبه الكيان الذي لا يحدث بدونه، فكان

---

[1] محمد السيد إسماعيل، بناء فضاء الرواية في القصة العربية القصيرة، (دط، دم، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، دت)، ص من 12 إلى 13.

[2] المرجع نفسه، ص145.

[3] محمد البارودي، الرواية والحداثة، (ط1، اللّاذقية، دار الحوار، 1993)، ص232.

[4] ينظر: حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص26.

[5] عبد الوهاب زعدان، المكان في رسالة الغفران أشكاله ووظائفه، (ط2، صفاقس، دار صامد، 1980)، ص68.

[6] سعيد حورانية، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، ص90.

واقعا ورمزا، تاريخيا قديما وآخر معاصرا، شرائح وقطاعات، مدنا وقرى: حقيقية وأخرى مبنية من الخيال، كيانا تلتمسه وتراه، وكونا مهجورا غرفته سديمات لا نهاية لها."[1] كما تعد الأمكنة محركا لمشاعر الإنسان وذكرياته فهي تعيده إلى الماضي تدغدغ عواطفه، فتفتح له المجال الواسع لخياله، ولهذا يمكن أن تتحرك أحداث الرواية انطلاقا من تعلق الشخصيات من ذلك المكان."[2] وتعتبر الشخصية (القصصية) العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكلية الأخرى، بما فيها الإحداثيات الزمنية والمكانية الضرورية لنمو الخطاب القصصي واطراده."[3]

وإن علاقة الشخصية بالمكان ليست هامشية، وإنما لها أثر في تغيير ملامح المكان الذي تقيم فيه، أي تقوم بتنظيمه وفقا لثقافتها، كما تتأثر به في التكوين ونوع سلوكها: ومما لا شك فيه أن نوع المكان يؤثر في أخلاق وسلوك الشخصيات التي تتحرك فيه.[4]

"وإن محاولة دراسة المكان بمعزل عن الشخصية أو العكس، سيؤدي إلى نتائج غير دقيقة، وغير واضحة، فالمكان حاضر للشخصية ومكمل لها، فهو يحيا بوجود الشخصيات

---

[1] ياسين النصير، إشكالية المكان في النص الأدبي، دراسات نقدية، (دط، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1936)، ص65.

[2] حسن نجمي، شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية)، (ط1، دم، المركز الثقافي، الدار البيضاء، 2000)، ص140.

[3] حسن بحراوي، بينة الشكل الروائي، ص20.

[4] سعيد حورانية، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، ص99

فيه، الشخصيات تستمد صفاتها وخصائصها من المكان، وهناك قول شائع: "قل لي أين تحيا، أقل لك من أنت."[1]

استبقنا تقديم علاقة المكان بالشخصيات على الزمن والأحداث في هذه الدراسة نظرا لأهمّيتها داخل النص الروائي، ولأن الإنسان وعيه للمكان قبل الزمن، فالطفل إذ يبدأ إدراكه ووعيه بما حوله إنّما يبدأ بالمرئيات التي تقع عليها عيناه أوّل الأمر، ومن ثم يأتي إدراكه للزمن فيما بعد."[2]

يظهر المكان في رواية "صخرة الرماد" بتعلقه الشديد بالشخصيات الروائية، وكان للشخصية باعتبارها العنصر الأساسي الدور الفعّال الذي ساهم في تقديم صورة وصفية عنه وتحريكه، ويتجلى ذلك من خلال استرجاع البطل الرئيسي للرواية "سيزيف" ذكرياته الممتدة من الحاضر إلى الماضي المطروحة ضمن تقنية الاسترجاع والتي تصف من خلالها الحركات الكثيفة لشخوص الرواية، من خلال حواراتها المتنوعة.

وعند إمعان النظر على شخصيات الكاتبة "زينب لوت" نجد أن تأثير المكان أيضا بدا واضحا وبشكل مباشر على شخصيات الرواية سواء في تصرفاتهم أو أفكارهم أو معتقداتهم أو أعمالهم، كما تساهم هذه الشخصيات في بناء المكان وتكوينه بتأدية مجموعة من الوظائف التي تبث الحيوية في المكان من خلال حركتها المستمرة فيه.

---

[1] يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني، تر: سيزا قاسم، ص63.

[2] ينظر: سعيد حورانية، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، ص91.

تتضح العلاقة بين عنصر المكان والشخصية في رواية "صخرة الرماد" لـ"زينب لوت" من خلال انتماء الشخصية وتعايشها مع المكان أو نفورها منه ورفضها له، وذلك لانقسامها إلى نوعين أماكن محببة جاذبة تحفز الشخصية على الاستقرار وتفضل المكوث فيها، وأماكن طاردة تنفر منها لما تشكل من ضغوطات نفسيّة تخلق الاضطراب وتدفع شعور الشخصية للانفعال سلبا ما يجعل منها حزينة أو قلقة أو خائفة، وتكون بذلك أماكن غير مرغوب فيها.

كما نميّز في الرواية نوعين من الأماكن "مفتوحة ومغلقة" فالمكان المغلق وإن كان يوفر نوع من الراحة والأمن "كالبيت" أو كان وسيلة للانفتاح على العالم الخارجي وخلق العلاقات "كالسجن" إلاّ أن الشخصية لا تفضل الاستقرار فيها بشكل يعرقل حركتها أو يقيّد حركتها، كما ترفض أيضا الاستقرار في الأماكن المفتوحة بشكل دائم، فالشخصية تنتقل من مكان مفتوح إلى مكان مغلق ومن مكان مغلق إلى مكان مفتوح وهذا التنقل يولّد علاقات بين كل من الشخصية والمكان.

وتتجسد هذه العلاقات في الرواية من خلال الشخصية الرئيسية "سيزيف" والمكان دون إهمال الشخصيات الثانوية.

حرصت الكاتبة "زينب لوت" على تخيّر الأماكن الأكثر ملاءمة لحركة شخصياتها، فوظفت البحر كمكان مفتوح يفر إليه البطل "سيزيف" يستحضر من خلاله مجموع الأماكن العالقة في مخيّلته "ينظر نحو الأفق حوله ويتبعثر تفكيره بين صوت الموج الذي يمتد من

ذاكرة تخلق رمادا في الخواء المستدير... تستسلم عيناه في هدوء في استرداد ما حدث، تعود به المشاهد العالقة الحبلى بالزيف واستوائية الفرح بين أشواك الممرات الضيقة والملتوية نحو اختزال الزمن."[1]

"يتسع شاطئ (برايتون brighton) الممتد من جنوب شرق بريطانيا إقليم شرق (سايكس) بالسائحين والفارين من تعب العمل ورواسب الإجهاد والروتين اليومي، حيث يمدد "سيف" جسده على شريحة كرسي خشبي تحت أشعة الشمس."[2]

باعتبار البحر مكان للإقامة الاختيارية يمنح الشخصية الراحة النفسية، ما يجعل الذات تتوق لذلك المكان وتشعر بالانتماء إليه، يتوجه سيزيف ليتحرر من قيود العمل وضغطه ويرمي حموله في ذلك المكان اللامتناهي، لتجمعه بالبحر علاقة وثيقة تتمثل في تأثر سيزيف بذلك المكان الذي منح له الراحة، ليغوص في أعماق مشاعره ويسرح في بحر أفكاره تجاه أقربائه من الأهل والأحباب والأصحاب بعدما فقد الكثير منهم وترك بعضهم خلفه، ولن تتمكن هذه الشخصية الرئيسية "المعقّدة المركبة الدينامية الغامضة التي تملك القدرة على الإدهاش والإقناع، كما تقوم بأدوار حاسمة في مجرى الحكي، والتي تستأثر دائما

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص37.

[2] المرجع نفسه، ص36.

بالاهتمام، ويتوقف عليها فهم العمل الروائي."[1] من ذلك إلا بانتقالها من فضاء خارجي عام "البحر" إلى فراغات أخرى البيت "بيت الأهل" الأحياء والشوارع، المقبرة.

عمدت الكاتبة إلى توظيف البيت "بيت الأهل" كمكان يحن إليه "سيزيف" وهو في ديار الغربة، ذلك لأن البيت هو المكان الذي تتعلق به الشخصية منذ الصغر ويبقى عالقا في ذاكرتها مهما ابتعدت عنه، "البيت هو مكان الألفة ومركز تكثيف الخيال، وعندما تبتعد عنه تظل دائما تستعيد ذكراه، وتسقط الكثير من مظاهر الحياة المادية، ذلك للإحساس بالحماية والأمن اللّذين يوفرهما لنا البيت."[2]

فبطل الرواية مرتبط ارتباطا وثيقا ببيته، فهو المأوى الوحيد الذي يوفر له الدفء والحنان، "سقطت ذاكرتي تتدحرج في المكان... خف الأمر حين أشعلت الموقد على الماء للوضوء... والدي يجر نعله متثاقلا نحو فناء البيت... ثم يخترق سمعي آذان الفجر، وتذبح حمرة السماء الشقق حولنا."[3] و"شممت عطر الصابون على وجهها، يتثاءب فمها الرقيق يلبس شيئا من الهواء العليل، وترفع الستار على غرفتي لتعيد الغطاء على صدري."[4]

---

[1] ينظر: محمد بوعزة، تحليل النص السردي، (تقنيات ومفاهيم)، (ط1، الجزائر، الدا العربية للعلوم ناشرون، 2010)، ص58.

[2] ينظر غاستون باشلار.

[3] زينب لوت، صخرة الرماد، ص 106.

[4] المرجع نفسه، ص ن.

كما يكشف هذا المكان عن شخصية "سيف" فالمدقق لوصف السارد للبيت، يفهم طبيعة الحياة التي تعيشها الشخصيات الثانوية التي تعيش معه "الأم، الأب" فالبيت الذي قامت الكاتبة بوصفه يدلّ على صفات الشخصيات القاطنة فيه.

والملاحظ في هذه الرّواية أن البيوت التي وظفتها الكاتبة لم تكن مجرّد صور معمارية، وإنما قيم إنسانية ذات دلالات عميقة تكشف عن حياة الشخصيات التي عاشت فيها فكان بذلك المكان الذي يحمل ذكريات الشخصيات وأحلامهم.

"انحنى رأسه في الأرض ليسقط دموع حسيرة حارقة التأوه منحه لها لكنه أخذ حياتها معه ... اللعين... لأول مرة أدرك أن الخادمة في البيوت وتستدعي جشع زوجها... في أوّل حمل لها أسقط لها الجنين... نزفت كثيرا واستأصلوا منها الرحم..."[1]

يفصح المكان "البيت" عن حياة التعاسة التي تمرّغت فيها الشخصية رحمة أخت سيزيف مع زوجها الذي أذاقها جلّ ألوان العذاب وهي تصارع المرض الذي يلمس جسدها الضعيف.

كان الرواق الذي يجمع الغرف في "بيت رشا" مملوء باللّوحات المنظمة حسب قامة الإطار ينتهي بوجود أخرى، كلها تلتصق بالتاريخ الرسمي ومسميات وأيادي رسمتها، انزياح الألوان الزيتية تصنع ببريق الحركة والإيهام، أمدّ يدي نحوها، تمتد عبر جدار تختزل أنفاس

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص82.

الحكايات التي تغرز أسرارها خلف تفاصيل كل لوحة غامضة كالغيوم التي تضمن تحديد أشكالها أو ترسم ألوان حياتنا في زئبقية حركتها في العلو العميق."[1]

يكشف البيت في هذا المقطع عن سر القلق التي جعل رشا تنصرف لممارسة هواية الرسم لتتناسى ولو قليلا من مرضها اللّعين، ولتكشف من خلال تلك اللوحات وألوانها القاتمة لون الحياة التي تتعاطى وتتقاسم معها الساعات أو الدقائق المجهولة التي تفصلها عنها في أي لحظة.

"يضع الفنجان وكوب ماء قرب شقيقه المحدق في كل زاوية في البيت ليجد صور "عمر" في كل الألعاب الرياضية، الشطرنج، الركض، وميدالية السباحة في أول رف من رفوف المنزل الخافت الألوان، وصور الرحلات... ضحكتك هناك جميلة تعاند الربيع إذ ارتشف مساحيق الشذى... كنت سعيدا حقا "عمر."[2]

يختزل المكان حياة عمر في الفترة التي ابتعد فيها عن شقيقه "سيف" ليتعرف عن طبيعته من خلال الصور المعلقة في جدران ذلك المنزل، لتنطبق مقولة حسن بحراوي الذي يقر بحقيقة مفادها "البيوت والمنازل تشكل نموذجا ملائما لدراسة قيم الألفة ومظاهر الحياة الداخلية التي تعيشها الشخصيات، وذلك لأن بيت الإنسان امتداد له كما يقول ويليك: فإنك إذا وصفت البيت فقد وصفت الإنسان، فالبيوت تعبر على أصحابها."[3]

---

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص13.

[2] المرجع نفسه، ص81.

[3] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص43.

تختلف العلاقات التي تجمع البيوت بأصحابها، فمثل البيت في الرواية مصدر الخوف والألم فتجسّدت بين هذه الشخصيات والمكان علاقة تنافر، ومن جهة معاكسة المنبع الذي يوفر شعور الأمان والطمأنينة بالنسبة للشخصية الرئيسية "سيزيف" ليسرح بأفكاره في ظل أحلام اليقظة، وهو يتذكر الأوقات السعيدة التي قضاها في كنف عائلته ليجذب سيزيف إلى المكان وتتشكل بين الطرفين "البيت" و"سيزيف" علاقة ألفة وحماية يفتقدها وهو منفصل عن البيت والأهل عبر واسطة الأحلام والذكريات.

كما بدا تأثير الأحياء والشوارع واضحا على شخصية سيزيف وذلك بانتقاله إلى هذه الأماكن الرحميّة التي بقيت عالقة في ذمّته ولأن هذه الأماكن "تشبه رحم الأم (...) مثل بيت الطفولة والقرية، وتظل عالقة في الذاكرة طول العمر."[1]

"أريد البقاء أكثر في شوارع الأحياء المجاورة أريد أخذ صور تذكارية...

الذاكرة ليست مكانا فقط، ولا هياكل وتماثيل، أنا أتخيل فيها شيئا آخر...

يمكن أن تفهمني حين تكون بلا وطن."[2]

يتضح من خلال المقطع مشاعر الشوق والحنين التي يكنّها سيزيف لتلك الأماكن التي قضى فيها طفولته. "أصوات تتخاطب لغة تتجاذب الإغراء، (باعة الحي) وهو يحملون السمك وينقلونه بالماء حتى تحفظ بريق البحر."[3]

---

[1] ينظر: شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربيّة، ص17.

[2] زينب لوت، صخرة الرماد، ص 37.

[3] زينب لوت، صخرة الرماد، ص 37.

يقلب سيزيف صفحات الذاكرة ويسترجع أماكن الصبا المفقودة عبر الأزمنة الغابرة، كما يحن سيزيف لها، ويتمنى الاستقرار أكثر فيها ولو عبر خيوط الذاكرة التالفة، ويحاول بذلك أن يصور مرارة الغربة وعذاب البعد عن البلاد والأهل، فجمعت بين هذه الأماكن والشخصية البطلة علاقة حب وشوق وذكريات موشومة بالحرف من ذهب خالدة في ذكراه عبر مرور الأزمنة.

كما يطلق سيزيف العنان لمخيّلته لتجول به إلى أعالي مقبرة الياسمين، "خلاء موحش، حيث يكتمل وجع غريب لابد من مواجهة تستفز اللقاء ثانية، يتسارع ظل خلفه، لكنه يواصل السير إلى مقبرة (الياسمين) التي تعلو تلال (بيت ياحون) اللبنانية مثقل بالحنين والشوق... ويلتفت كلّ مرّة ليجد أن الصوت خلفه مجرد ردة فعل الطبيعة للفراغ حوله."[1] باعتبار المقبرة إحدى أماكن الإقامة الإجبارية غير المعيبة التي يعمّها السكون الذي يزرع في نفسية الإنسان نوع من الرعب والوحشة فيعكس هذا المكان تنافر الشخصية منه.

وظهرت المقبرة في الرواية على أنها المكان الرّحمي الذي يحن إليه سيزيف ليعوّض الفراغ الذي يسكن روحه باعتباره المكان الذي يحوي جثمان أمه المفقودة "ماجدة"، "يخطو خطوات متثاقلة كأن يعيد الزمن كجزر ومدّ بين ذكريات بدأت تتلف في طريقه المستدير، حتى وصل منكسرا بجسده المنثني أمام مرقدها، بعدما امتلأت رجلاه ترابا وجسده يذوب

[1] المرجع نفسه، ص38.

كطفل يريد ملامسة صدر أمه... يتنهد بعويل يتردد كالصدى من شدّة الفراغ المثقل بين القبور المهجورة من الزائرين يتلعثم في كلماته."[1]

يرتمي سيزيف بأحضانه على قبر أمه باحثا في كل الاتجاهات عن عزاء يواسيه ويقترب على قبر أمّه لعله يشمّ بعض من رائحة أمه التي تفوح بعطر الجنة المفقودة منذ زمن بعيد، فتكون المقبرة بهذا المكان المريح الذي اطمأن إليه سيزيف، لتجمع بالشخصية سيزيف والمكان "المقبرة" علاقة الشوق والحنين لتشكل بعد كل هذا رابطة الانتماء.

نلتمس بين عنصر المكان والشخصية في رواية "صخرة الرماد" علاقة وطيدة ، حيث ساهم كل عنصر بدوره الفعّال تجاه الآخر، فالشخصية برز من خلالها المكان ليصبح ذات قيمة من خلال تجربتها فيه، والمكان كشف عن هذه الشخصية من خلال تصرفاتها ووجهة نظرها ومعتقداتها، كما تركز الرواية على تقديم شخوصها وعلاقاتها بالأمكنة من خلال الشخصية الأكثر توترا والأعمق تأثيرا "سيزيف" كشخصية رئيسية تدور عليه أحداث الرواية، وتعرضنا من خلاله إلى اختيار أهم الأماكن التي أثرت في نفسية البطل وساعدته على استدعاء ذكرياته عن طريق تقنية الاسترجاع من الماضي إلى الحاضر.

علاقة المكان بالأحداث:

الحدث هو الأساس المجمل للعناصر السردية في النص الأدبي (الزمن، المكان، الشخصيات) والأحداث هي مجموعة من الأفعال والوقائع التي تقتضي زمان وفضاء أو حيز

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص 38.

جغرافي تجري فيه، وفي هذا الصدد سيتم إبراز كل من علاقة المكان بالأحداث وكيف يؤثر كل منهما على الآخر.

من خلال قراءتنا للرواية استنبطنا أنّها حافلة بالأحداث والفضاءات، وكما أشرنا مسبقا لأحداث هذه الرواية أنّها متداخلة ولسرد الأحداث صيغ مختلفة إذ "يلجأ الكاتب لإحداهما، وذلك تبعا لثقافته ورؤيته الفنية، فقد يبدأ الروائي قصته من أول أحداثها ثم يتطور بأحداثه وشخوصه تطورا أساسيا متبعا المنهج الزمني... الطريقة التقليدية، وقد تبدأ القصة بنهايتها، فيصور الحادثة ثمّ يعود بنا إلى الخلف كي نكشف الأحداث والأشخاص (فلاش باك) وقد يتبع أسلوب اللاوعي والتداعي فيبدأ نقطة معيّنة ويتأخر حسب قانون التداعي... الطريقة الحديثة، كل تلك متروك لعبقرية الكاتب وتمكّنه من أدوات الكتابة."[1]

تبدأ أحداث القصة في رواية "صخرة الرماد" من نهايتها، ثم تعود بنا الكاتبة إلى الخلف لتكشف لنا الأحداث المسبقة، إذ تبدأ القصة من فلسطين سنة 1927 أين أعادت أصداء إسرائيل تنكيلها كأنها حرب البراق وهذا ما وجدناه في الصفحات الأخيرة من الرواية.

إنّ وجهات النظر المتبادلة بين المكان وصياغة الأحداث علاقة وطيدة تتداخل نحو إثبات مقولة المكان على الحدث والحدث على المكان وليس فقط المكان والشخصية "ورغم أنّ العلاقة بين والشخصية تبادلية، إلاّ أنّ هذا لا يعني أنّ المكان والشخصية هي العوامل

[1] صبيحة عودة زعرب، غسان كنافي جمالية السرد في الخطاب الروائي، دار مجد لاوي، الأردن، ط1، 1996، ص43.

المؤثرة فقط في الرواية، أو في التأثير على المكان والشخصية فالأحداث تلعب دورا لا يمكن إغفاله."[1]

يبدأ الحدث في الرواية من مكان مغلق "بيت" أين مرضت رشا وزارها سيف في البيت ونقلها بعد ذلك إلى المستشفى في (لندن) أين كان هذا البلد يتابع اخبار العرب.

ثم ينتقل سيف إلى شاطئ برايتون أين يسترجع أحداث يثني بها مسافة الماضي إذ يصف أولا الشاطئ بالمكان المخصص بالسائحين والفارين من تعب العمل ورواسب الإجهاد والروتين اليومي أين يسترخي على أنفاس الموج الذي يرمي حمولته فوق ضفاف السطح، فكل مواصفات هذا المكان أثرت على سيف إلى درجة انتقاله من عالم الواقع إلى عالم التخيل واسترجاع الماضي أين وجد نفسه في زيارة لقبر أمه في (مقبرة الياسمين) أين التقى مع خاله بعد سنوات من الفراق وسرعان ما تنشطر موجة البحر لتوقظ ذاكرة سيف.

تستمر الأحداث من وسط القدس، إذ تصف الكاتبة أحداث قصف وظلم في وسط جوّ من الجرم والاستعمار أين "أصبح عدد الضحايا لا يشكل رقما مهما أمام كومة الخيوط التي تعزل حزمة عروبتنا."[2] فالمكان يحمل دلالات مرتبطة فالقدس تشير إلى القصف والقتل ومحو الهوية، الاستعمار، الهروب، الخوف.

---

[1] غدير الخروبي، المكان في الرواية مدن الملح لعبد الرحمان منيف، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 1993، ص73-74.

[2] زينب لوت، صخرة الرماد، ص 54.

"ومن ثمّ فإن علاقة التمازج والتداخل بين المكان والحدث هي علاقة طبيعية ناتجة عن كون المكان هو البعد المادي للواقع أو الحيز الذي تجري الأحداث، ويكون علاقة تبادلية فهو مولد لفاعلية فكرية يوازي بها فعل الطبيعة لأحداثها ومواقفها فيصبح المكان محسوسا وعنصرا من عناصر البناء الفني لا يستغني عنه بل يصبح الأرضية التي يشيد عليها الروائي بناء روايته وأحداثها، فهو يميل إلى أن يحوي بعضا من هوية الشخصيات وتواجدهم ومواقفهم ومسار الأحداث ومدى الفاعلية الإيقاعية المألوفة للحياة اليومية."[1]

يمتزج المكان بالحدث إذ تطرح الروائية مقطعا واضح المعالم المكانية بطريقة بسيطة وهذا ما نجده فيما يلي: "يدخلان الشقة يسرع (عمر) إلى المطبخ لإحضار القوة لأن الحديث سيشرئب من خلايا الساعة الشاهقة أمامهما في الصالون."[2]

اختارت الكاتبة المكان بين مغلق ومفتوح، وارتبط هذا الأخير بالأحداث، فمثلا في الرواية نجد "البحر" كمكان مفتوح يتسع فيه سيف لذكرياته أين يسترجع أحداث عديدة، والعكس صحيح بالنسبة للمكان المغلق في الرواية مثلا "السجن" أين نجد سيف في صراع تنحصر الأحداث فيه في نقاط معدودة.

"فالموضوعة المكانية تبني عناصر الدراما، فالوصف المكثّف في مكان ما والمبالغ فيه تدل على استحواذه على حدث ما أو قيامه بالتحكم في مسرح الأحداث وقيادتها إلى

---

[1] حوامدة نجود عكا الله، الخطاب الروائي في رواية متاهة الأعراب في ناطحات السحاب الروائي مؤنس الرزاز، ط1، وزارة الثقافة، الأردن، 2009، ص244.

[2] زينب لوت، صخرة الرماد، ص 81.

نهايتها ومغامرات البطولة وتنقلاتها المكانية تكسب أحداثا متنوّعة، وتكسب في نفس اللّحظة أماكن متعدّدة كلّها يتمّ تهيئتها لتلائم الحدث."[1]

إذن المكان هو الذي يبني الأحداث، ويدل وصف المكان بشكل مكثف على استحواذه على حدث ما، فمثلا في الرواية الوصف المكثف لأجواء المخيّمات تدل على أنه بؤرة الأحداث ومنبع حركتها وبوصفه مكانا أساسيا في الرواية.

يبدأ الحدث من منطقة الشرق الأوسط المهددة دائما بالاستعمار الصهيوني، وترافقه عملية وصف المكان لمسار الأحداث مرورا بالمجتمعات الغربية ومعاناة العيش فيها بسبب الهجرة الإجبارية.

فالرواية ترسم الإطار الذي تتحرك فيه شخصياتها سواء أكان إطارا طبيعيا (الغابات، الصحراء) أو مصنوعا (متنزه، مدينة، بيت، منجم) سواء كان جادا أو متحرّكا."[2]

علاقة المكان بالحدث علاقة تأخذ أكثر من مستوى، فأهمية المكان نابعة من أهمّية انفتاحه على المستويات الأخرى في سير الأحداث، والحدث بحد ذاته يكشف عن واقع المكان، ما يعني أن العاقة التي تربطهما هي علاقة تلازم وترابط.

[1] حسين، محمد مصطفي علي، استعادة المكان دراسة في آليات السرد والتأويل، رواية (السفينة) لجبرا إبراهيم جبرا نموذجا، دائرة الثقافة والإعلام، الإمارات العربية، 2004، ص 24.

[2] لطيف زيتزني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص127.

علاقة المكان بالزمان:

إن وجود المكان في العمل الروائي يستلزم حضور زمان تحاكي فيه الشخصيات مجموعة من الأحداث، فلذلك نحن نتساءل ما هي العلاقة الموجودة بين الزمان والمكان، وهل يمكن أن يستغني أحدهما عن الآخر يا ترى؟

حسب عبد المالك مرتاض فإن الزمان هو "لفظ مشتق من معناه من الأزمنة بمعنى الإقامة."[1] بمعنى أن الزمان هو الإقامة في المكان، ولعلّ "عبارة كان يا مكان في قديم الزمان هو الموضوع الأدبي لكل قصة يحيكها الإنسان من حكايات الجن."[2]

رواية "صخرة الرماد" فيها كسر للمألوف فيما يخص الزمن حيث اعتمدت الكاتبة على منهج التخيل التاريخي، والمقصود به استحضار التاريخ وإعادة سرده بالمزج بين لغة التاريخ ولغة الروائي المعاصرة مشكلة بذلك بنية زمنية مختلفة عن الزمن التاريخي بحيث تقوم على تداخل الأحداث لتبدأ من أي نقطة لتعود أو تتقدم، ويظهر ذلك من خلال قولها في مطلع الرواية "يبدأ مخطوط روايتي من النهاية حيث تسقط دائرة الزمن فوق بقعة الورق لتذوب بقايا الأزمنة في قاع الذاكرة."[3]

---

[1] مرتاض عبد المالك، في نظرية الرواية

[2] مهى حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، (ط1، الأردن، دار فارس للنشر والتوزيع، 2004)، ص36.

[3] زينب لوت، صخرة الرماد، ص 7.

في رواية "صخرة الرماد" المكان والزمان حاضران بصورة قوية كون الرواية مجموعة من الأحداث تبدأ من النهاية، تؤديها مجموعة من الشخصيات في مكان وزمان معين، ويمثل المكان الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية، وأما "الزمن فيمثل في هذه الأحداث نفسها، وإذا كان الزمان يرتبط بالإدراك النفسي فإن المكان يرتبط بالإدراك الحسي، وإذا كان المكان يرتبط بالأفعال والأحداث وأسلوب عرضها، فإن أسلوب تقديم المكان هو الوصف."[1]

وفي الرواية عبارات دالة على تداخل المكان بالزمان من بينها:

"تسلل لي الخبر صباحا كسلة من السنوات التي كانت تصحو فيها رشا في نفس البناية."[2]

"حين أوصلت زوجها البارحة للمطار."[3]

"بيتي كان مثل (مقبرة براغ) والآن صار روضة أطفال."[4]

"حلّ المساء خرجت رشا من غرفة العمليات."[5]

من هنا يتضح لنا وصف الكاتبة لبعض الأمكنة ولم تستبعد عنصر الزمان إذ ترسم في مخيلة القارئ من خلال عبارات تدل على زمن معيّن مثال ذلك:

---

[1] محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، (دط، دمشق، اتحاد الكتاب العربي، 2003)، ص162.

[2] زينب لوت، صخرة الرماد، ص 12.

[3] المرجع نفسه، ص12.

[4] المرجع نفسه، ص29.

[5] المرجع نفسه، ص32.

المكان	الزمان
المطار	حين
البيت	كان/أصبح
الغرفة	حل المساء
البناية	صباحا

وهناك من يرى أن العلاقة بين المكان والزمان علاقة تنافسية "فالزمان والمكان في الرواية، يتبادلان توازن القوى كما يتبادلان المنافع، فالمكان (يُزْمَنُ) بالزمان وإن الزمان (يُمَكَنُ) بالمكان بمعنى أن الزمن فراغ دون مسكنه في المكان، حيث يظل تائها إلى أن يجد مكانا يسكن فيه وأنّ المكان فارغ، لا تحولات، لا تجلّيات له دون أن يتجدل مع الزمن."[1]

وعند الوقوف عند زمن الرواية نجده يربط الماضي بالحاضر ويتضح ذلك من خلال العبارات التالية:

"لا تزال أصوات تعلو نحو السماء... وتأتي أخرى.... تكتب بالتوالي العهد التميمي."[2]

"اقترب زفافي... وتحول المكان إلى مستعمرات إسرائيلية."[3]

[1] شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية.

[2] زينب لوت، صخرة الرماد، ص 53.

[3] زينب لوت، صخرة الرماد، ص 106.

قامت الكاتبة بتوظيف عنصري الزمن والمكان في روايتها بما يتناسب كل منهما بموضوع الرواية وبعلاقة مكونات السرد ببعضها، وقامت بربط الماضي بالحاضر، من خلال إبراز الحياة مع الاحتلال الصهيوني وما تركه من أثر في الحاضر وتجدر الإشارة إلى أنّ العلاقة بين المكان والزمان تتعدى إلى التأثير والتأثر، ويظهر ذلك من خلال فصول الرواية فلكل فصل زمان ومكان متحوّل.

وما يلفت الانتباه أن زمن الرواية فيه تلاعب بالتقديم والتأخير وما ميّزه أكثر هو استشراف الكاتبة لزمن المستقبل الذي لم تشهده بعد.

كما ذكرت الكاتبة عبارات مباشرة تدل على اتصال المكان بالزمان، منها:

المكان	الزمان
مستشفى (رويال مردسن) لندن	يوم 18 آذار 2021م
شاطئ برايتون	2020م
القدس	شتاء 29 ديسمبر 2019م
لندن	كانون الثاني 2018م
إيطاليا	سنة 2017م
أصدقاء إسرائيل	1947

"زفير الرياح يتمرغ في اهتزاز الأكواخ والبيوت، واسطبل الغنم، وخمّ الدجاج ليثير نكهة الشتاء في تشرين 1990م."[1]

واختارت الكاتبة روايتها من فلسطين متسائلة ما فائدة القتال وحدود تنزف رحيل أهلها حاملين في أعناقهم صخرة الوطن وترابه مشيرة إلى أن زمن الاجتياح الإسرائيلي للمدن الفلسطينية سنة...

على الواقع الأليم من تفجير وتهجير في زمن ماضي وما خلفه من آثار في زمن آخر.

الزمن يؤثر في العناصر الأخرى وينعكس عليها فالزمن حقيقة مجرّدة سائلة، لا تظهر إلاّ من خلال مفعولها على عناصر أخرى."[2]

بمعنى أنّ الزمن على الرغم من أنّه حسي فهو يترك بصمته في كل الأحوال سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وهو يأتي متأثرا بالعناصر الأخرى من بينها المكان.

وفي الرواية بعض المقاطع التي تحيل إلى تداخل الزمن بالمكان، من بينها:

"يتوجّه نحو باب غرفته فيستيقظ العجوز وهو يسعل."[3]

إذ أنّ الاستيقاظ هنا يشير إلى فترة الصباح.

---

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص 106.

[2] سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، (دط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1884)، ص27.

[3] زينب لوت، صخرة الرماد، ص 137.

"اقتربنا من النهر الذي رأيتها فيه أول مرة."[1]

"ينفخ الصباح نوره بعدما اكتسى الليل صوت القذائف... بالقرب من المخيّمات."[2]

نلاحظ من خلال هذه العبارات كيفية ارتباط عنصر المكان بالزمان إذ يذكر الحدث ومكان وقوعه دون الاستغناء عن عنصر الزمن إذ يمكن للقارئ أن يدرك المكان من خلال الزمان والعكس صحيح، ومن جماليات الزمن التي قامت الكاتبة بإظهارها تجميد التأريخ الهجري والميلادي في درجة الصفر إذ بدأت أحداثها دون ترتيب.

وفي النهاية يمكننا أن نجيب عن السؤال الذي طرحناه مسبقا (حول علاقة المكان بالزمان) إذ استنتجنا أنّهما يشكلان ثنائية تتحد في الفعل والحدث، فكل واحد منهما يخدم الآخر، فالعلاقة بينهما إذن علاقة ترابط، تداخل، تلازم، وتتعدى إلى تأثير وتأثر فلا وجود للأول دون الثاني والعكس صحيح.

وبهذا تجمع الكاتبة في روايتها (صخرة الرماد) عناصر البنية السردية بتداخل كل عنصر في كل فصل بعنصر آخر (مكان، زمان) مشكلة بذلك حبكة محكمة للرواية فهي تنقل المتلقي إلى عالم غير عالمه وإلى زمن غير زمانه ليلامس حضور ذات الأنا بذات الآخر.

[1] المرجع نفسه، ص 140.

[2] المرجع نفسه، ص150.

الفصل الثالث

مركبات المكان

1- الأصوات

2- الرائحة

3- الذكريات

4- الأحلام

مركبات المكان: تتمثل هذه المركبات في العناصر الأساسية التي تشكل المكان من صوت ورائحة وأحلام وذكريات وتعطي له معنى يتفرد به، وكل عنصر من هذه العناصر عالم قائم بذاته ويؤثر في وجود وحياة المكان بشكل عام إن صح التعبير وفي حياة الإنسان بوصفه الكائن الذي يستقبل هذه المركبات ويعيشها بحواسه.

الصوت:

الصوت عبارة عن أمواج تنتشر في أوساط كثيرة يعمل على اهتزاز الموجات والتي تؤدي إلى تحديد خصائص الصوت المنتشر، يستخدم الصوت كوسيلة تواصل بين الكائنات الحية كالبشر وصدى الأصوات التي تستخدمها الحيوانات.

يعبر الكاتب بواسطة الكلمة عن الصوت بجميع أشكاله رغبة في إيصال الصوت إلى المتلقي، ومحاكاة الواقع معتمدا على المساحات الصوتية، الوسائل الإشارية الإيماءات، والجديد الصوتي في السرد هو استخدام إشارات تدل على الصوت.

يظهر الصوت في الرواية إما ككلمة وإما إيحاء مسموعا، فمثلا: "وينفجر صوت لامرأة فلسطينية ووشم الغضب يغزو وجهها."[1] هنا ظهرت كلمة الصوت نفسها إذ تكمن أهمّية الكلمة في الإبلاغ ورسم الصورة في ذهن المتلقي بشكل واضح أكثر.

كما يظهر الصوت عبر الوسائط المتعددة في الرواية، مثال ذلك "ويلتفت كل مرة ليجد أنّ الصوت خلفه مجرد ردّة فعل الطبيعة للفراغ حوله."[1]

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص54.

"أصوات العصافير تنقر في خوذة الرياح."[2]

جاء الصوت هنا في وظيفة سردية جمالية، فصوت الطبيعة من رياح، وخرير المياه، وزقزقة العصافير تشكل صورة فنّية تميل إلى الموسيقى.

وفي عبارة: "آه يا أرمين."[3]

"ما بك يا سيدي أنادي على الجيران أنادي على الجيران يأخذونك من هنا."[4] يظهر الصوت في شكل مسموع يوحي للقارئ بوجود صوت.

"يمسك بكتف (سيف) فينتفض الآخر صارخا من تكون."[5]

فكلمة صارخا توحي إلى الصوت العالي.

تشغل مساحة السّرد في رواية صخرة الرّماد أصواتا منها التي ليست بحاجة إلى تفسير أو تأويل لأنها تُعرف بمجرد قراءتها مثل دق الباب، رن الهاتف، وناداها بصوت عال...، وهناك إشارات صوتية تحمل دلالات معيّنة تحتاج إلى التفسير وهذا اعتمادا على مهارات القراءة والتذوق الفني لتلك الأصوات ومدى قابلية التفاعل معها لاكتشاف الرموز المخفية من قبل المتلقي.

---

[1] المرجع نفسه، ص38.

[2] زينب لوت، صخرة الرماد ، ص38.

[3] المرجع نفسه، ص93.

[4] المرجع نفسه، ص42.

[5] المرجع نفسه ، ص39.

مركب الصوت في رواية صخرة الرماد ملموس وحاضر بقوّة لأن أصل الرواية كلمات والكلمات بدورها عبارة عن أصوات سواء كانت داخلية أو خارجية، نجحت الكاتبة في تشخيص هذه الأصوات بين شخصيات الرواية بدقة حتى يتسنى للمتلقي استقبال الفكرة والفهم.

الرائحة:

هي الخاصية التي تمتلكها بعض المركبات، تكون إمّا زكية وإما كريهة، يدركها بواسطة حاسة الشم وهي مرتبطة بمظهرين الأول: مادي محسوس والثاني معنوي ذات دلالة معينة.

تربط الكاتبة في هذه الرواية الرائحة بالذكريات عامة، فمثلا قولها: "عجائن الخبز تحرق أنفاسي... أين أنت يا لبنان حتى عبر ناظري طفل يخرج صينية القهوة ولا أدري لماذا اقتربت لأشرب فنجان قهوة مع بعض اللّيمون."[1]

"يأتي الصباح خلسة مع (الكعكة العصرونية) برائحة اليانسون والدقيق المسحوق المنبعث من الأرض."[2]

تشير الروائية في هذه المقاطع إلى ارتباط الرائحة بالغربة فكون سيف مستوطنا في ديار الغربة وإحساسه لهذه الرائحة جعلته يتذكر وطنه ومجالس عائلته في طابع من الشوق والحنين ونوّع من التحسر للابتعاد عنها نتيجة الهجرة المفروضة عليه.

[1] زينب لوت، صخرة الرماد ، ص77.

[2] زينب لوت، صخرة الرماد ، ص86.

"ذات فجر سمعت الآذان... ورائحة الخبز والقهوة ونكهة ابتسامة."[1]

ترتبط رائحة القهوة هنا بالعائلة وتجمعها على مائدة الفطور كل صباح (عائلة سيف).

ومن مقطع آخر "اشتقت إليك أمي كثيرا... لعطر يديك."[2]

ومظهر الرائحة هنا معنوي يوحي بقيمة الأم وتأثيرها في نفس ابنها، والرائحة المنبعثة من يدّها هي ما يذكره بحنانها ولهفتها عليه، إنّ عطرها الطبيعي والمميز لا يمكن أن يشمه أو يميزه أحد غير ابنها فهو يلتقطه بإحساسه وله قدرة تمييزه عن باقي عطور العالم ولو كان بعيدا عنها بأميال، ويبقى عطرها هو أفضل عطر عنده تستدعيه ذاكرته في أصعب ظروفه حتى يخفف عنه ألم البعد والشوق.

يقول سيف "لكن المطر كان يكسر ظهر السماء في الشتاء ولا يكسر ظهر أمي حين تمطر عطرا."[3]

كذلك مظهر الرائحة هنا معنوي غير محسوس تقصد به الروائية قوّة حضور الأم ورائحتها في كل مكان من زوايا البيت.

في عبارة أخرى لسيف: "لا استطيع استنشاق عطر غي عطرك يا شامة."[4]

---

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص 108.

[2] المرجع نفسه، ص38.

[3] المرجع نفسه، ص107

[4] زينب لوت، صخرة الرماد، ص112.

توحي العبارة إلى الجانب المعنوي العاطفي في طابع الإخلاص في الحبّ والتّمسّك بعطر شامة كذكرى لا يمكن استبدالها.

الرائحة في رواية "صخرة الرماد" وإن لم تكن حاضرة عبر الكلمات بكثرة فحضورها المعنوي كان قويا وربطتها الكاتبة بالذكريات الماضية في حين وبالعاطفة في حين آخر، معتمدة في ذلك على جانبين: مادي محسوس ومعنوي دلالي.

الذكريات:

تقوم النماذج الروائية على علاقة خاصة تربطها بالذكريات، هذه التقنية المستحدثة التي تقوم على فنيّة استرجاع الأحداث من زمن الماضي إلى زمن الحاضر لتتخذ من مخزون الذاكرة مغذيا روحيا لها، "فالاعتماد عليها، يضع الاسترجاع في نطاق منظور الشخصية ويصبغه بصبغة خاصة تغطيه مذاقا عاطفيا."[1]

وتعد الذكريات إحدى التقنيات الزمنية التي يوظفها السارد في نصّه الروائي ويشتغل بها النّص السردي، كما لهذه التقنية عدّة تسميات منها: الذكريات، الارتجاع، السوابق، "فهي مصطلح روائي حديث يعني الرجوع بالذاكرة إلى الوراء البعيد أو القريب."[2]

يعرّفه جيرار جنيت "بأنه كل ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة التي نحن فيها من القصة أولها يعرفه عبد العالي بوطيب "يتمثل في إيقاف السارد لمجرى تطور أحداثه ليعود لاستحضار أو استذكار أحداث ماضيه."[1]

[1] سيزا قاسم، بناء الرواية، ص43.

[2] أمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، (ط2، لبنان، 2015)، ص103.

أي أنّ السارد يقوم في عملية السرد بإعادة حكي أحداث سبق وأن جرت في الماضي القريب أو البعيد فـ"هو مفارقة زمنية باتجاه الماضي انطلاقا من لحظة الحاضر، استدعاء حدث أو أكثر وقع قبل لحظة الحاضر أو اللحظة التي تنقطع عندها سلسلة الأحداث المتتابعة زمنيا لكي تخلي مكانا للاسترجاع."[2]

تكاد لا تخلو النصوص التي تتلقاها من تقنية التذكر والاسترجاع أو ما يسمى بالتواصل مع الماضي، ممّا يجعل الرواية مختلفة مميزة فـ "الاحتفال بالماضي واستدعائه لتوظيفه بنائيا عن طريق استعمال الاستذكارات التي تأتي لتلبية بواعث جمالية وفنية خالصة في النص الروائي."[3]

لقد شغل الاسترجاع " استرجاع الذكريات " الجزء الأكبر في رواية صخرة الرماد، خصوصا على مستوى المتخيل ومعظم أحداث الرواية وقعت في ذهن البطل سيزيف، وبمجرد فتح غلاف الرواية يتوضح للقارئ أن معظم أحداث الرواية قائمة عبر أبواق الذاكرة، "يبدأ مخطوط روايتي من الدعاية حيث تسقط دائرة الزمن بقعة فوق الورق لتذوب بقايا الأزمنة في قاع الذاكرة وتتدحرج قوة الاهتزاز بين أشكال السعادة والحزن وأسئلة البقاء والجماد في الزوايا المضيئة والمعتمة على أرجوحة تهزها ريح عارية من السماء التي تغلق

---

[1] نبيل حمدي الشاهد، بنية السرد في القصة القصيرة، سليمان فياض نموذجا الوراق، (ط1، 2013)، ص188.

[2] جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، (ط1، مصر، القاهرة، ميريت للنشر والتوزيع، 2003)، ص16.

[3] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص121.

فرص الأحلام وهي تكبر بين أهداف الأمل والرجاء بعدما كانت حافية تداعب صهيل الشمس الصاخبة في غياب سواد اللّيل تكسره رائحة الصمت المتعفن... تنفض روايتي أجسادا تناوئ الصخور وتفتت عقيدة الرماد ليلتفت سيزيف في رحلة الصعود نحو القاع..."[1]

تشير الروائية إلى أن معالم روايتها تتحدد وفق تدرج تنازلي حيث أن نهايتها من الناحية الزمنية عبارة عن بداية لمختلف عناصر الزمن الروائي فيها.

والزمن في هذه الرواية يشكل وحدة كلية تتوزع فتراته على أحداثها، تعبر في ثناياها عن جملة الأفعال التي تكون الذاكرة أساسها، فالذاكرة تتقاطع والزمن حيث إنّ ربط الأحداث قائم على هذه الثنائية غير أنّ تعبيراتها هي مزيج من أمل مرجو وطموح جارف تسعى الروائية إلى تحقيقه وذلك بتجاوز العقبات التي تصادفها مثل دواعي الحزن ومسبات الأسى.

وعلى غير العادة فإن التيار عكسي مخالف لكل ما هو معهود فكأنها الصعود نحو القاع تريد به الروائية أن تربط أحداثا ليس لها وقع زمني، وتمر بكثير من المحطات لتصل إلى حدود الزمن. كما تأتي أحداث الرواية على شكل شريط محكي ينقلها البطل عبر أبواق الذاكرة وتنحصر ذكريات البطل في الرواية بين ذكريات ماضيه البعيد وذكريات ماضيه القريب، ولا تختلف في نتاج الألم. ويعيش البطل حالة هيام وضياع حيال جملة من ظروف التيه والاستعمار الذي يواجهه في أرض وطنه لبنان ما أدى إلى خلق حالة اجتماعية مريرة من الفقر والبطالة ما دفع به الاغتراب بعيدا للبحث عن سبل لحياة أفضل "وقد توصل إلى

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص7.

استقطاب وظيفتين خصصها لم كمراسل لمجلة في لندن ، وفي المحطة التلفزيونية المخصصة للأخبار "AGR TV LIVE" حيث تغيرت حياته نحو الأحسن وفتح متجرا بسيطا سرعان ما تول إلى مصدر رزق وثروة..."[1]

ليجد البطل في جهة أخرى أنّ حاضره لا يختلف عن ماضيه وما هو إلاّ امتداد لما تحفظه ذاكرته من ذكريات الآلام والأحزان، ليتجرع عذابها للمرة الثانية، وتكتمل بمرارة الحياة التي واجهها في بلاد الغربة.

تنطلق ذكريات البطل في إيطاليا على ضفاف شاطئ برايتون وبالضبط سنة 2020م، يعود البطل إلى أبعد النقاط في ذاكرته "يمتد في ذاكرة تخلف رمادا في الخواء المستدير... تستسلم عيناه في هدوء استرداد ما حدث تعود به شيئا فشيئا يتلاشى البحر من أماه ويضمحل خلف المشاهد العالقة الحبلى."[2]

يسترجع البطل مجموعة من الذكريات الخاصة، ذكريات تجمع بين السعادة والشقاء فيستدعي البراءة، براءة أطفال لبنان "رأيت أجسادا تنتعل الشقاء وحب الحياة، أطفال يلعبون لعبا جماعيا لكرة ممزقة، وأرجلهم حافية، يسحبون البداوة ويمتطون قناعاتهم وكأن السعادة بؤرة صغيرة كذرة لكنها تشع في قلوبهم... يأتي صوت قرب كتفي (سيف) دائما خلف عتبة الماضي يستحضرني..."[3]

---

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص98.

[2] زينب لوت، صخرة الرماد ، ص 98.

[3] المرجع نفسه، ص ن.

ينقل سيزيف بهذه الصورة المعلّقة في ذاكرته حجم الفقر والمعاناة أو بالأحرى شقاوة الحياة، كما يقدّم سيزيف الصورة الحية للأطفال وطنه ليعبر بها عن واقع ماضيه الأقل، وبساطة الحياة التي تطبعها السعادة، كما يصبح للحفاوة في بلاد الغربة لون وذوق خاص لا مثيل له "أريد البقاء أكثر في شوارع الأحياء المجاورة أريد أخذ صورة تذكارية... الذاكرة ليست مكانا فقط، ولا هياكل وتماثيل، أنا أتخيل فيها شيئا آخر... يمكن أن تفهمني حين تكون بلا وطن..."[1] لا تقف عملية التذكر على استعادة سيرة الذات فقط وإنّما يتعدى ذلك على استرجاع سيرة الوطن أيضا.

تمتد معاناة البطل مسترجعا ذكريات قاسية متجها إلى قبر أمّه: "يخطو خطوات متثاقلة كأنه يعيد الزمن كجزر ومد وبين ذكريات بدأت تتلف في طريقه المستدير، حتى وصل منكسرا بجسده المنثني أمام مرقدها[2] بعدما امتلأت رجلاه ترابا وجسده يذوب كطفل يريد ملامسة صدر أمه... يتنهد اشتقت إليك أمي كثيرا لخبزك المفحم ... لعطر يديك...كم كنت محتاجا لأن استيقظ ويعود كل شيء حيث اختفيت."[3]

يستعيد البطل ذكرى أمه ريحانة العمر "ماجدة" ويستعيد معها شعور مثقل بالشوق والحنين دفء أمه وحنينها التي أضحت مجرد ذكرى يحملها البطل في ترحاله من مكان إلى آخر.

---

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص 37.

[2] المرجع نفسه، ص ن.

[3] المرجع نفسه، ص38-39.

"سرعان ما تنشطر موجة على الشاطئ لتوقظ ذاكرة (سيف)... (سيف)."[1] يستيقظ "سيف" من هوس ذكريات الماضي البعيد وفي نفس المكان يدخل في رحلة عابرة من الزمن في ذكريات الماضي القريب مع صديقته سماح " أخبرني كيف كانت رحلتك إلى شاطئ برايتون؟ مرت شهور ولم أسألك عن الأمر، هل وجدت عروس البحر هناك؟ لا لم أجد غير نفسية وصديقة قديمة تصفحنا معًا أساور الماضي التي هزّت نواقيس العودة لكن المحطات كانت كثيرة فاكتفينا ببعض الصور التي ارتفعت أمواجها على شواطئ ذاكرتي..."[2]

يستذكر البطل سيزيف مع صديقته سماح في المكان ويقلبان معا صفحات الماضي وتقع ذاكرتها باسطة جناحيها في الصفحة التي دونت لقاءهما الأول: "هل تذكر يوم التقينا؟ كنت حزينا ومنهمك بالتفكير... كنت أتخاصم مع أحد الشباب الخائنين لإنسانيتهم ولرجولتهم يتهمني بالمياعة ويغازلني في نفس الوقت... يلامس يدي ويدعوني بالفجور ... منحته لكمة قويّة طرحته أرضا... وأدركت يومها أنّك مشحون بعويل من الحزن والأسى برحيل شقيقتك ومن وددت الزواج بها.. وكنت نبحث عن دليل لمكان شقيقك المختفي "عمر"."[3]

قامت هذه الذكرى على الحوار ما زاد الإيهام بواقعيّتها وقوّة تأثيرها، كما تكشف هذه الذكر عن الشخصية القوية التي يتميز بها البطل من جهة، وتكشف من جهة أخرى مشاعر الحزن والأسى في حال من التشتت والضياع الذي حلّ بسيزيف وعائلته.

---

[1] المرجع نفسه، ص45.

[2] زينب لوت، صخرة الرماد ، ص15.

[3] المرجع نفسه، ص 47-48.

يجمع سيزيف ذكريات سماح بعدما تحولت في حكاياته مجرد ذكرى يرسم ملامحها في مخيلته "انتهى... لون عينيك على مذكرتي... وحقول الأرز تسقط وحي زمن انحدر منه كل شيء (سماح) اسمك المخيم في ذاكرتي يمطر شيئا من المستحيل لا شيء يجمعنا غير الحزن... كنت لا تؤمنين بأن الحياة صخرة نجرّها نحو القاع كي نسدّ الماضي ولكنها لا تفعل شيئا غير الرجوع نحونا..."[1]

اضمحلت العلاقة الموسومة بين سماح وسيزيف وباتت شيئا من المستحيل نتيجة لظروفهما القاسية التي لم تسمح لهما بمواصلة الدرب مع بعض لتبقى سماح كبقية الذكريات الأليمة التي مرت بمخيّلة سيزيف وبقيت معلقة بخيوط عالقة.

يواصل البطل استرجاع الماضي، فيعود بذاكرته إلى قصة حبّه البائسة مع شامة "الماضي ارتداد نحو ذاكرة تنفخ الرماد في أفنية صدري المتعب بأجراس الصباح المبتور من عمري أكاد أنفجر صمتا حين يحتبس الضوء المغتسل بنافورة الروح العارية، تحد جسدا أنهكته الحروب بين حقول القمح المحموم بالنور,,, أفناه الخواء الممتد في سنابل العمر التي اقتلعها منجل القمر قبل الميلاد... لأننا معا لا أحد سيفرّقنا إلاّ الأديم الذي يجذبني غليك... ولأننا كنا معا لا أحد سيموت غيري من حسرتي عليك (شامة)..."[2]

تعجز قيود ذاكرة البطل التحرر من ذكريات حبيبته "شامة" ترافقها شعور مكثف بالحسرة، وألم الفراق المحتوم "مرّ ثلاث سنوات على رحيلها قد تكون في عمرها الثالث

[1] زينب لوت، صخرة الرماد ، ص48.

[2] المرجع نفسه، ص69.

والعشرين كنت غاضبا يومها لأنها تتدخل في أموري، وجنوني حين أتذكر أمر وطريقة موتها، في تلك الليلة حضرت العشاء وكنت قد اشتريت خاتم خطوبة لأضعها في إصبعها الرخامي، لكنها خرجت من الحمام ووضعت ربطة عنق حمراء... حمراء... حمراء يا (خليل)... مثل التي علقتها أمي عندما انتحرت... جنوني... صفعتها... وأخرجتها.. من باب الصالون... حملت حقيبتها... وسمعت سيارة تدوس جسدها الممشوق وتعصر دمها وقهرها."[1]

يستحضر سيزيف ذكريات الماضي البعيد من خلال الماضي القريب، فتمثل ربطة العنق الحمراء ذكرى لوفاة أمه ماجدة وشاء القدر أن تكون ذكرى وفاة حبيبته شامة، فيستحضر ذكرى وفاة أمه في زمن طفولته من خلال ذكرى وفاة حبيبته شامة في زمن الماضي القريب.

يغوص سيزيف في بحر ذكرياته إلى أبعد نقاط ذاكرته وتشدّه الرحال للعودة إلى طفولته البائسة وينقل تفاصيلها الدقيقة هروبا من الحاضر "يغتسل "سيف" بالحياة التي يحس أنها تغسل أنهار الحزن التي لم تشف عروقها بداخله... لكن شقيقه (عمر) سيكون في مكان ما، بعدما استسلم للنسيان تعود مسامات الطفولة ليتذكر هروبهم من القرية."[2]

يصور البطل صورة الطفولة القائمة في أعماق مخيّلته، بعدما طغت على سطح حاضره، فيشتد به الألم وتتضاعف المعاناة.

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص97

[2] المرجع نفسه، ص94.

يستمر البطل في استرجاع زمن الطفولة المثقل بالحنين تجاه أمه وإخوته. "أتذكر كم حرمت من يدك المشدودة بالعجين والصراخ خلفنا... تضربنا بنعلها الجلدي، حين تصل أقدامنا على المطبخ لنسرق الخبز الساخن تحت مائدة الطعام.."[1]

"أتذكر رحمة شقيقتي ريحانة العمر... ورائحة التراب الندي.. يا "عمر" شقيقتنا كالأوطان العبية التي تجرها الأحصنة الجارفة للرياح، لكن الغبار سحق خرائطها وصرنا نتقن خلط التجاعيد بالطفولة.."[2]

باتت ذكريات الطفولة التي خزنتها ذاكرة سيف مثقلة بالأوجاع والحنين، كما كان الحاضر إحدى المحفزات الزمنية التي أغرقت البطل فيها هروبا من الغربة ومرارتها.

وتأسيسا على ما سبق توصلنا إلى نتيجة مفادها أن الرواية المعنونة بصخرة الرماد لزينب لوت اشتغلت في استعادتها للماضي على الذاكرة من خلال استرجاع البطل سيزيف لماضيه البعيد كزمن الطفولة في قريته في لبنان، والماضي القريب كالأحداث التي تعرض إليها في لندن وإيطاليا كما كان الدور الأساسي لهذه الاسترجاعات الكشف عن التحول المتدرج في حياة الشخصيات كما كان لهذه الاسترجاعات الكشف عن التحول المتدرج في حياة الشخصيات كما كان لهذه الاسترجاعات قدرة الكشف عن السيرة الذاتية للشخصية وسيرة وطنها.

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص120.

[2] المرجع نفسه، ص144.

كما ينتفخ زمن الرواية على الماضي أكثر من الحاضر وبالرغم من تواتره أكثر في الرواية إلا أن الحاضر بقساوته فتح بابا واسعا للذكريات "فاللحظة [كما يقول] باشلار هي التي تحدد الذكريات فعلا وواقعا، يهرب البطل من زمن حاضره إلى ماضيه."[1] وإن تداخل الأزمنة بين الماضي والحاضر كان هدفه إثراء الرواية تتعدد الأماكن الحاملة للذكريات.

"وتعتمد الخلاصة في الحكي على سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات واختزلها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل."[2]

الأحلام:

الأعمال الروائية والقصصية هي الأعمال الأكثر اقترابا من مجال التحليل النفسي وفهم السلوك البشري والعمل الأدبي بصفة عامة قائم على عناصر الدوافع والانفعالات، هذان العنصران الأساسيان المهمان اللّذان يساهمان بشكل كبير في فكّ الشفرات الغامضة، وباعتبار الحلم نشاط لا شعوري يتحرر به الفكر وتفرغ المكبوتات فـ"هو من أبرز حالات

[1] غاستون باشلار، جدلية الزمن، تر: خليل أحمد خليل، (ط2، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية)، ص02.

[2] عمر عاشور، البنية السردية عند الطبيب الصال، (دط، الجزائر، دار هومة للطباعة والتوزيع، 2010)، ص200.

التمرد تثور بها الأعماق ضد العقل البشري."[1] و"الأحلام في جوهرها تنبيهات نفسية وتجليات لبعض القوى النفسية."[2]

ويمثل الحلم في العمل الأدبي عامة والروائي خاصة أحد الأساليب الأكثر بلاغة التي "تسهم في تحقيق انزياح بنيات الخطاب وأنساق الملفوظ عن السائد من البنيات التقليدية للغة الخطاب الروائي في نزعتها الوصفية ذات النسق الأفقي."[3] وشكل من الأشكال الكلاسيكية المهمة التي وظفها السرد العربي لتقديمه في أجمل صورة بلاغية، وقد شغلت قضيته اهتمام الكثير من الكتاب والمفسرين فورد في معظم الكتابات التاريخية وكتب الرحلات والأخبار وكذا آداب السير والتراجم باختلاف أساليبها وتعدد رؤاها و"إيراد الحلم في هذه المؤلفات يشكل مفتاحا لأسئلة ملغزة، ومنعرجا في حيوية الشخصيات وكذا في سير الحياة/ الحكاية."[4]

كما يحمل الحلم في طيّاته صور مجازية، تخلق بدورها عالم مليء بالخيال والإبداع في رواية ما "باعتباره خلية يهيء لها ببحث قبلي لخلفيات الحلم وأساساته أو قد يرد على

---

[1] ينظر: سامي اليوسف، الخيال والحرية (مساهمة في نظرية الأدب)، (ط2، دمشق، سوريا، ار كنعان للدراسات والنشر، 2003)، ص160.

[2] سيغموند فرويد، الحلم وتأويله، تر: جورج طرابيشي للطباعة والنشر، (ط4، بيروت، لبنان، 1982)، ص06.

[3] شعيب حليفي، بلاغة الصورة في السرد، (دينامية القراءة والتأويل)، الملتقى الدولي للسرديات (القراءة والفاعلية في النص السردي)، يومي 3-4 نوفمبر 2007، المركز الجامعي بشار، الجزائر، ص29.

[4] بوشوشة بن جمعة، اتجاهات الرواية في المغرب العربي، (ط1، تونس، المغرب العربي المغاربية للنشر والتوزيع، 1999)، ص617.

وعي تام بأبعاده النفسية والاجتماعية حينا آخر."[1] ويمكن اعتبار الأحلام عملية رمزية عقلية يكون فيها المحتوى متضمنا لعدّة محتويات باطنية.

يتجسد الحلم في رواية "صخرة الرماد من خلال بعض المقاطع السردية التي يتخيل فيها البطل "سيزيف" ويصف الطيف الذي يمثل خاله عزام عبر واسطة الأحلام "يظهر رجل ضخم البنية يغشاه الغبار من كل جانب بشرته السمراء تخفي ملامحة وملابسه التي يلفها مثل محارب انتزعت منه السنين قوته فانحنى واستسلم للشيخوخة ولحيته المتقدة بالحمرة، يحمل عصا غليظة يغرز سمكها في الأرض... يمسك بكتف (سيف)."[2]

يفر البطل إلى الأحلام متبعا آلية الاسترجاع، ويستدعي الشخصية عزّام ويتقاسم معه أطراف الكلام ويشكو إليه الآلام والأحزان، كما تتطرق الشخصية الخيالية إلى سرد معاناتها "لأنني بعض من دمك يا بني وبحثت عنكم كثيرا حتى تعب البحث مني واستقر الانتظار في جوف حلقي المبحوح بالسؤال عنكم."[3]

ويجد السارد بذلك فرصة لعرض تفاصيل حياة الشقاء التي تعرضت إليها والدة "سيزيف" "ماجدة" "تركتني والدتك خلفها في (فلسطين) وعمري سبع سنوات بعدما حدث انفجار عبوة بالقرب من بيتنا وهو مليء بالزينة وبهجة المدعوين للفرح، العب بعيدا عن

[1] سعيد خليفي، بلاغة الصورة في السرد، ص30.

[2] زينب لوت، صخرة الرماد، ص39.

[3] المرجع نفسه، ص 39.

الحي مع بعض الأصدقاء ولما سمعنا دوي النار المتطايرة هربنا إلى مخابئ داخل المدرسة، كان يوم عرس "ماجدة" ولكنها لم تكف عن البكاء وكان الحزن يعتصر وريد قلبها..."[1]

إنّ استدعاء البطل لهذه الشخصية عبر أحلام اليقظة لم يكن عبثا، وإنّما لاتفاق ظروفهما باختلاف عصورهما، فالحالة التي عاشها الخال عزّام في الماضي تتماشى مع اللّحظة الراهنة التي يعيشها البطل، فيتقاسمان شعور الألم، الوحدة والفراق وهموم الغربة والضياع.

"بم تفكر الآن؟

في أوراق سفر خالي التي لم تجهز بعد، يجب أن أجمع أهلي.. أنا مثله لم أرتبط خوفا من الشتات الذي جعله عاجزا أمامي يبحث عن جذوره ويمسك صخور الرماد..."[2]

باحثان في صحراء ضياعهما عن سبل السعادة "هل التفكير في السعادة يقتصر على تحقيق رغبة الآخر؟ هل هو ذاته من يكون سعيدا في تقليص القابعين في أرضية حلم ثلاثي الأبعاد."[3]

يغوص البطل في أحلامه إلى أعماقها باحثا عن هويّته:

"ولأننا هكذا نمشي على حافة الظلام لابد أن يفرقنا النهار الحالك خلف فكرة تنهش هشاشة السؤال...

---

[1] زينب لوت، صخرة الرماد ، ص 39.

[2] المرجع السابق، ص40.

[3] المرجع نفسه، ص40.

أنا أموت هنا...

أعيش هنا بين لحود الهاربين لاقبية تحت الأرض... سئمت صوتك... ضحكتك التي لم تغادر مثلك كعصفورة تشتت صوتها في الرحيل...

هذا أنا (سيزيف) واقف أما احتراقي الأخير... الكل اختار طريقا للسفر، سأختار وجهتي إذن...

(ماجدة)... (رحمة)... (عمر)... (شامة)

لا تمت وحيدا هنا لا بطاقة ولا وطن يعترف بك.

أستيقظ من كابوس فيذهب مسرعا للحمام ويغسل وجهه بماء بارد كان على هاوية شرفة يريد السقوط.. كان حلما."[1]

يسيطر كل من الحزن والألم على نفسية البطل كما ويؤثر الواقع "واقعه المعيش" على أحلامه فيتلون اللاشعور بسواد قاتم يعكس الضياع والتشتت الذي آل إليه البطل فاقدا أحبابه باحثا عن هويّته محاولا اختيار طريق منفرد يخلصه من كابوس الأحلام والذكريات الأليمة.

يحاول سيزيف التغلب على دواعي الألم وظروف القهر ويفتح بابا واسعا لأحلام جديدة يغمرها شعور الحب والسعادة.

"قبلت دون نداء لعقلي، فعشنا نحكي ماضينا وحاضرنا، ونبني قصور أحلامنا، كان شعرها يغطي على جمال البساتين، وكل الطماطم العذراء لم تكن تقف أمام وجنتيها لتحرس

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص 69-70.

الربيع المطل في قرار السفر حملت ما لها، وحملت سقف أيام جديدة ساكنيها واتباع حلمي كصحفي تدفعه شجاعة (جنان) وحسنها وروحها الحالمة سنصل هناك وأتمم عقد قراننا معا وسنرزق بالأبناء أول مولود نسميه (رحمة) أو (عبد الحليم)."[1]

يرسم البطل في مخيّلته صورا رمزية يصف بها زوجته المستقبلية (جنان) ويطلق العنان لذهنه برسم تفاصيل الحياة التي يحلم بها وبعدها تجرع من كأس المرارة ما يكفي لاستيقاظ وعيه الذي يبني على أساسه حاضره ويكسب تفرده.

يهرب البطل من وطأة الواقع اليومي ليتخذ من الأحلام الصديق الوحيد الذي يشارك همومه وفرحته في ديار الغربة؛ فتتنوع لتشكل ألوانا باختلاف أنواعها فتثير تارة مشاعر الحزن وتارة أخرى مشاعر السعادة "وحدها الأحلام تملؤنا بماء الزهر وتغرق أنفسنا لنتحد بالوجع، ويصبح عجة طيبة المناق... وحدها الأحلام تنسج وريدا ينبض دون قلب... وتصبح جسدا يكتمل في شهره الأول، وفرسان تصيح في الهزيمة الأولى حين تقتل لهفة الغروب... الأحلام تأتي حافية لكنها تأخذ كل شيء حيث تقيم."[2]

كم هي لذيذة تلك اللّحظات المعدودة التي نعيشها في أحلامنا برهة قصيرة ونعيش أمانينا وطموحاتنا فيها وكأنها واقع وحقيقة، فهذه الفسحة تجسد للإنسان انتصارا ونجاحا لجملة الصراعات التي تنغص كيانه وتجعل من عينيه في النجوم وترسخ فيه فكرة أنّ الأحلام

[1] زينب لوت، صخرة الرماد، ص140.

[2] زينب لوت، صخرة الرماد، ص90-91.

أكبر من جرأة صاحبها وأكبر من إرادة الفعل لديه، وإن كانت أحلامنا غالبا تعبر عن دورة الخيال وشوق الذكريات وحنين بتحقيق المساعي والآمال.

عرفت الرواية "صخرة الرماد مركبات مكان ذكرنا منها أصوات، رائحة، أحلام، ذكريات شكلت إلى حدّ ما في اتساق وانسجام العمل السردي في واقع يتراوح بين حاضر وماضي، فكان دور هذه المركبات الربط بين هذه الأحداث في زمان ومكان معيّن، لتكسي الروائية هذا العمل الأدبي حلة فنّية وجمالية على شكل قالب أدبي إبداعي.

خاتمة

وفي ختام هذا البحث المعنون بالبنية المكانية في رواية "صخرة الرّماد" للمؤلفة زينب لوت توصلنا إلى أنّ العمل السردي يقوم أساسا على شبكة من العلاقات التي تشكل بناء على التداخل والتفاعل بين عناصر السرد سواء أكانت في تفاصيلها الزمانية أم المكانية وشخوصها وأحداثها، وإنّ للمكان دور هام في الرّواية حيث أن تأثير البنية المكانية في العمل السردي يكمن في خلق الدّلالة بشقيها العميق والسطحي وتحقيق أهداف السرد إجرائيا وفق طبيعة المتلقي ومدى تمكنه من فكّ الرّموز والشفرات التي يبني عليها توظيف المكان من حيث السياق والمضمون.

وأهم النتائج التي توصلنا إليها في البحث يمكن إيجازها في:

- تعدد الأمكنة وتنوّعها في الرواية بين المفتوحة والمغلقة شيء مقصود من الكاتبة بغرض فتح معالم روايتها على الحركية والفاعلية.
- المكان عنصر أساسي لا يمكن فصله عن باقي مكوّنات السرد الأخرى.
- يتكون المكان في الرواية من مركبات ذات وظيفة سردية فنّية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

- زينب لوت، صخرة الرماد، ط1، القاهرة، دار غراب للنشر والتوزيع، 2019.

المعاجم والقواميس :

- لطيف زيتوني، معجم المصطلحات (نقد الرواية)، ط1، لبنان، مكتبة لبنان الناشرون، 2002.

2- قائمة المراجع :

1- إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دط، الأردن، دار المسيرة، 2003.

2-أمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ط2، لبنان، 2015.

3-أوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، (دراسة بنيوية لنفوس ثائرة)، دار الأمل والنشر والتوزيع، ط1، 2009.

4-بوشوشة بن جمعة، اتجاهات الرواية في المغرب العربي، ط1، تونس، المغرب العربي المغاربية للنشر والتوزيع، 1999.

5-حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصيات)، ط1، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1990 .

6-حسن فهد، المكان في الرواية البحرينية، دراسة في ثلاثية روايات (العدوة، حصار، أعتبة الماء والنار)، ط1، البحرين، دار فراديس للنشر والتوزيع، 2003.

7-حسن نجمي، شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية)، ط1، دم، المركز الثقافي، الدار البيضاء، 2000.

8-حسني حمدي، الشخصية الروائية عند محمود تيمور بين النظرية والتطبيق، دط، القاهرة، دار الثقافة، 1988.

9-حسين حمودة، الرواية والمدينة نماذج من كتاب الستينات في مصر.

10- حسين، محمد مصطفي علي، إسعادة المكان دراسة في آليات السرد والتأويل، رواية (السفينة) لجبرا إبراهيم جبرا نموذجا، دائرة الثقافة والإعلام، الإمارات العربية، 2004.

11- حفيظة أحمد، بنية الخطاب الرواية النسائية الفلسطينية، ط1، رام الله فلسطين، منشورات أو غاريت الثقافي، 2007 .

12- حميد لحمداني، تنبيه النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

13- حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، ط1، عمان، الأردن، دار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع.2006 .

14- حوامدة نجود عكا الله، الخطاب الروائي في رواية متاهة الأعراب في ناطحات السحاب الروائي مؤنس الرزاز، ط1، وزارة الثقافة، الأردن 2009.

15- سامي اليوسف، الخيال والحرية (مساهمة في نظرية الأدب)، ط2، دمشق، سوريا، ار كنعان للدراسات والنشر، 2003.

16-سعيد حورانية، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، ط1، دمشق منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب2011 .

17- سعيد يقطين، السرديات والتحليل السردي (الشكل والدلالة)، ط1، المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2012.

18- الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، ط1، أربد، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2010.

19- صالح صلاح، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، ط1، القاهرة، دار شرقيات،1997.

20- صبيحة عودة زعرب، غسان كنافي جمالية السرد في الخطاب الروائي، دار مجد لاوي، الأردن، ط1، 1996.

21- الصدفي عالية أنور، شعرية الأمكنة في روايات يحيى يخلف، ط1، الأردن، المعتز للنشر والتوزيع، 2008.

22- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية "بحث في تقنيات السرد، دط، الكويت، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1998.

23- عبد الوهاب زعدان، المكان في رسالة الغفران أشكاله ووظائفه، ط2، صفاقس، دار صامد، 1980.

24- عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب الصالح، دط، الجزائر، دار هومة للطباعة والتوزيع، 2010.

25- محمد البارودي، الرواية والحداثة، ط1، اللّاذقية، دار الحوار، 1993.

26- محمد السيد إسماعيل، بناء فضاء الرواية في القصة العربية القصيرة، دط، دم، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، دت.

27- محمد بوعزة، تحليل النص السردي، (تقنيات ومفاهيم)، ط1، الجزائر، الدا العربية للعلوم ناشرون، 2010.

28- محمد حسن عبد الله، الريف في الرواية العربية، محمد حسن عبد الله ، الريف في الرواية العربية، د.ط، الكويت، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 1989.

29- محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، دط، دمشق، اتحاد الكتاب العربي، 2003.

30- محمد عيد الطربولي، المكان في الشعر الأندلسي (من عصر المرابطين إلى نهاية الحكم العربي)، (448هـ-897هـ)، ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة، 2005.

31- مصطفى تواتي، دراسة في رواية نجيب محفوظ (اللص والكلاب، الطريق، الشحاذ)، ط3، بيروت، لبنان، دار الفرابي، 2008 .

32- مهدي عيدي، جماليات المكان في ثلاثية خدامنا، ط1، دمشق، سوريا، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011.

33- مهى حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، ط1، الأردن، دار فارس للنشر والتوزيع، 2004.

34- مهى حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، ط1، الأردن، دار فارس للنشر والتوزيع، 2004.

35- نبيل حمدي الشاهد، بنية السرد في القصة القصيرة، سليمان فياض نموذجا الوراق، ط1، 2013.

36- ياسين النصير، إشكالية المكان في النص الأدبي، دراسات نقدية، دط، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1936.

المراجع المترجمة:

1-جورج هنري رالي، الرواية والمدينة، في: (نظرية الرواية -علاقة التعبير بالواقع)، ت، د، محسن جاسم المسوري، منشورات مكتبة التحرير، بغداد، 1986 .

2-جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ط1، مصر، القاهرة، ميريت للنشر والتوزيع، 2003.

3-سيغموند فرويد، الحلم وتأويله، تر: جورج طرابيشي للطباعة والنشر، ط4، بيروت، لبنان، 1982.

4-غاستون باشلار، جدلية الزمن، تر: خليل أحمد خليل، ط2، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

5-غاستون باشلار، جماليات المكان، ط6، بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

6- مشكلة المكان الفني، تر: سيزا قاسم دراز، ضمن كتاب جماليات المكان لمجموعة من الباحثين، ط2، دار قرطية، الدار البيضاء، 1988.

الرسائل الجامعية

1-حنان أمزيان، سمية بركان، جماليات تشكيل المكان في رواية "الرماد الذي غسل الماء" لعز الدين جلاوي –أنموذجا–، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر إشراف بلقاسم دكدوك، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2017/2016 .

2-عبد العفو درداخ، بنية الزمان والمكان في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية "مقامات الذاكرة المنسية" لحبيب موسى –أنموذجا–، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، إشراف فوزية تقار، جامعة الشهيد لخضر الوادي، 2017/2016، ص38.

3-غدير الخروبي، المكان في الرواية مدن الملح لعبد الرحمان منيف، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 1993.

4- فاطمة عجوج، المكان ودلالته في الرواية المغاربية المعاصرة، رسالة دكتوراه، نقلا عن عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة)، ط1، تونس، دار محمد علي، 2003.

5-محمد كوبر، عبد العفو درداخ، بنية الزمان والمكان في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية "مقامات الذاكرة المنسية" لحبيب موسى –أنموذجا–، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، إشراف فوزية تقار، جامعة الشهيد لخضر الوادي، 2017/2016.

6- هنية جوادي، صورة المكان ودلالته في روايات واسيني الأعرج، مذكرة دكتوراه، إشراف مفقودة صالح، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013/2012.

الدوريات والمجلات:

1-مجلة إضاءات نقدية (فضيلة محكمة)، ع31، إيران، السنة الثامنة.

2-مجلة العلوم الإنسانية، قسنطينة، ع13، جوان 2000.

3-مجلة المجاهد، ع1392، 1987

4-مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، ع39، جامعة بابل، حزيران 2018.

5-الملتقى الدولي للسرديات يومي 3-4 نوفمبر 2007، المركز الجامعي بشار، الجزائر.

الموسوعات:

- ياسين النصير، الموسوعة الصغيرة الرواية والمكان، دط، بغداد، العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، 1986 .

فهرس

فهرس

مقدمة.....أ،ب،ج

الفصل الأول:

ملخص الرواية: 03

أنواع المكان.....05

1/ الأمكنة المفتوحة.....10

1-البحر.....12

2-الغابة.....17

3-القرية.....19

4-المدينة.....20

5-الأحياء والشوارع.....21

6-الأنهار.....26

7-المخيم.....27

8-المقبرة.....29

2/ الأمكنة المغلقة.....34

9-البيت.....33

10- السجن.....38

11- الغرفة.....42

12- المستشفى.....44

13- العمارة.....47

14- الحمام.....48

15- الزنزانة.....49

16- السينما.....50

الفصل الثاني:

علاقة المكان بالمكوّنات السردية.....57

1-علاقة المكان بالشخصية.....59

2-علاقة المكان بالأحداث.....71

3-علاقة المكان بالزمان.....76

الفصل الثالث:

مركبات المكان.....85

1-الأصوات.....85

2-الرائحة.....87

3-الذكريات.....89

4-الأحلام.....98

خاتمة.....107

قائمة المصادر والمراجع.....109

الملخص :

هدف البحث إلى تحديد بنية المكان في رواية صخرة الرماد، ذلك من خلال إبراز أهمية البعد المكاني في تشكيل معالم السرد وشبكة علاقته بمكونات إلسرد الأخرى حيث تضمن الفصل الأول أنواع المكان والفصل الثاني علاقة المكان بالمكونات السردية والفصل الثالث مركبات المكان وهذا إعتمادا على المنهج البنيوي.

الكلمات المفتاحية :

البنية، المكان، صخرة الرماد.